الديمقراطية وحقوق الإنسان

الشّابات والشّباب في العراق

دراسة الشباب في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا: تحليل للنتائج

أحمد قاسم مفتن

كانون الأول / ديسمبر 2022

يربط الشباب مصطلح »السياسة« بسياسة الأحزاب أو السياسة العامة للبلد، وعن الفساد والنخب السياسية غير الكفؤة وهدرها للأموال، ودور وممارسات الأحزاب في التخادم وتقاسم المغانم والإفلات من العقاب والمحاسبة.

وصف الشباب التهديدات الناجمة عن جائحة كورونا بأنها أبرز وأهم التغيرات التي واجهوها مؤخراً. ينبغي الآخذ في الحسبان بأن من بين تسعة وقائع وأحداث سلبية، كان من بينها ستة وقائع مرتبطة بالجائحة على نحوٍ مباشر، أو زاد تأثيرها من جراءها، من قبيل نقص الغذاء وفقدان الوظائف والتغيرات داخل العائلة وعدم الاستقرار الاجتماعي وتزايد العنف والعزلة عن العالم الخارجي.

غالباً ما يجد الشباب صعوبة في اتخاذ القرار بين الهجرة ومتابعة حياتهم في الوطن. كثيرون منهم متعلقون بشدّة بعائلاتهم ومناطق سكناهم الأصليّة، ولا يرون أبداً أن الهجرة حل مثالي مريح، إذ تثير فكرة مغادرة المنزل مشاعر متناقضة حيالها.

FRIEDRICH EBERT STIFTUNG

الشّابات والشّباب في العراق

دراسة الشباب في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا: تحليل للنتائج

غالباً ما يربط الشباب مصطلح »السياسة« سياسة الأحزاب أو السياسة العامة للبلد الذي يعيشون فيه، وعن الفساد والنخب السياسية غير الكفؤة وهدرها للأموال، ودور وممارسات الأحزاب في التخادم وتقاسم المغانم والإفلات من العقاب والمحاسبة. لذا فهم غير مهتمّين بهذا النوع من السياسة، والتي غالباً ما كانت تعكس فقدان الثقة بالسياسيّين وأدائهم، والشعور بالإحباط إزاءهم، أو جراء عدم فاعلية النظام السياسي في تلبية احتياجاتهم وطموحاتهم.لم تعد الشؤون الدينية والسياسية تشغل تفكير وإهتمامات الشباب كما هو الحال مع الأجيال التي سبقتهم، فعلى الرغم من إتساع وغزارت المواد والنشاطات والبرامج الدينية والسياسية، والظهور المتكرر للشخصيات التي تصنف بكونها شخصيات دينية أو سياسية، إلا أن تأثيرها على الشباب أخذ بالإنحسار نتيجة لكثرة الوعود والخطابات والارشادات التي تبناها الإسلام السياسي، ومن دون تنفيذ أو إيفاء بالوعود. لذا حصدت الشؤون السياسية والدينية الرصيد الأقل والإهتمام الأدنى من غايات الشباب في إستخدام وسائل التواصل الاجتماعي.

وصف المستطلعين الشباب التهديدات الناجمة عن جائحة كورونا بأنها أبرز وأهم التغيرات التي واجهوها مؤخراً. ينبغي الآخذ في الحسبان بأن من بين تسعة وقائع وأحداث سلبية تعرض لها الشباب، كان من بينها ستة وقائع مرتبطة بالجائحة على نحوٍ مباشر، أو زاد تأثيرها وصيرورتها من جراءها، من قبيل نقص الغذاء وفقدان الوظائف والتغيرات داخل العائلة وعدم الاستقرار الاجتماعي وتزايد العنف والعزلة عن العالم الخارجي، ناهيك عن التهديدات الناجمة عن جائحة كورونا. مما يؤشر حدوث تغيرات سلبية متعددة ومركبة عصفت بحياة الشباب على نحوٍ خطير في السنوات الخمس الأخيرة.

يظهر الشباب وعياً قائماً على انفصال حركة التنقّل المكانيّة عن حركة التنقل الاجتماعيّة التصاعديّة. ففي حين تستمر الرغبة في العثور على عمل أو مواصلة التحصيل العلميّ يتحفز البعض على الذهاب إلى الخارج وخوض تجربة الهجرة، فيما يركز البعض الآخر على قبول عمل في ظروف مهنية غير مؤاتية داخل بلدهم، أو الزواج من طبقة أعلى، أو الزواج من ديانة أخرى. يبدو أنهم يعرفون خير معرفة أنْ الهجرة لم تعد تقدّم لهم بالضرورة وعداً ناجزاً بحياة أفضل. فعدد قليل جداً منهم مصمم على الهجرة على الرغم من الأزمات المتعدّدة التي يعانيها البلد، إذ غالباً ما يجد الشباب صعوبة في اتخاذ القرار بين الهجرة ومتابعة حياتهم في الوطن. كثيرون منهم متعلقون بشدّة بعائلاتهم ومناطق سكناهم الأصليّة التي نشأوا وترعرعوا فيها، ولا يرون أبداً أن الهجرة حل مثالي مريح، إذ تثير فكرة مغادرة المنزل مشاعر متناقضة حيالها. وتتفاعل في تشكيلها العديد من الآليات والإجراءات.

لمزيد من المعلومات:
https://mena.fes.de/ar/topics/youth-study
https://iraq.fes.de

FRIEDRICH EBERT STIFTUNG

الديمقراطية وحقوق الإنسان

الشّابات والشّباب في العراق

دراسة الشباب في الشرق الأوسط
وشمال أفريقيا: تحليل للنتائج

جدول المحتويات

1 مقدّمة 2

2 المنهجية 3

1.2 أخذ العينات وجمع البيانات 3
2.2 الخصائص الديمغرافية للعينة 3

3 مدخل نظري لفهم الميدان 5

1.3 غزو الكويت وخسارة الحرب (1990-2003) 5
2.3 الخلاص من الدكتاتورية والدخول في غياهب الديمقراطية المصطنعة (2003-2006) 5
3.3 العنف الطائفي والتخندق الجماعاتي (2006-2013) 5
4.3 إرهاب داعش وسقوط المدن (2014-2018) 6
5.3 إحتجاجات تشرين ومخاضات الجائحة (2019-2021) 6

4 التعبئة والمشاركة السياسية 7

1.4 الاهتمام والإبتعاد عن السياسة 7
2.4 النظام السياسي المفضل لدى الشابات والشباب في العراق 11
3.4 الثقة بالمؤسسات ودور الحكومة 11
4.4 معدلات الرضا عن الحياة: مؤشرات المساواة والتمييز 13
5.4 الشابات والشباب والنشاط في المجال السياسي 16
6.4 التعبئة والمشاركة من أجل أهداف اجتماعية أو سياسية 17

5 الشابات والشباب وجائحة كورونا والحجر الصحي: مستقبل ضبابي 20

1.5 الإستعدادات والمواجهة 20
2.5 كورونا والتغيرات المحتملة 21
3.5 الجائحة والنظرة إلى المستقبل: تفاؤل وتشاؤم الشابات والشباب 22
4.5 تقييم الواقع الصحي والاجتماعي والحكومي: الآثار والتداعيات 22

6 التنقل والحركة والهجرة: وهم الهروب من الجحيم إلى الفردوس 26

1.6 التنقل والحركة والهجرة: محددات مفاهيمية ومسارات تحليلية 26
2.6 حركة التنقل: محاولة للفهم 26
3.6 هواجس الهجرة إضطراراً: القلق إزاء المستقبل 29
4.6 النزوح والتنقل داخلياً (الإحتكاك والتجربة) 29
5.6 السلوك التنقلي للشابات والشباب في العراق وخبرات الهجرة 30
6.6 المرونة الشخصية وقرار الهجرة 30

7 الخاتمة 32

المراجع 36
قائمة الأشكال 37

1

مقدّمة

أظهرت الحركات الاجتماعية والاحتجاجات المستمرة في البلدان العربية، في أعقاب انتفاضات عام 2011، ومن ثم الأزمات الصحية والاقتصادية التي ولّدتها جائحة »كوفيد-19« العالمية، الأمل وضبابية المستقبل في الآن معاً، وأنذرت أنّ المنطقة على أعتاب التغيير من جديد. حيث زادت فاعلية المتظاهرين الذين تغذيهم المظالم الاجتماعية والاقتصادية، ولطالما طالبوا بالتغيير السياسي. إن التحديات التي يواجهها الشباب في تشكيل موقف سياسي ذي مصداقية يمكن أن يحقق مستقبلاً أفضل، أو يقود إلى فوضى وخراب أكبر. في عدد من البلدان العربية ومن بينها العراق، إستفادت الحركات الاجتماعية من النتائج المخيبة للآمال التي حققتها في عام 2011, 2013, 2015 ومن ثم 2019. ولكن على عكس العام 2015، فإنها واجهت في عام 2019 أوضاعاً اقتصادية وسياسية واجتماعية صعبة للغاية، فضلاً عن تعارض المواقف الإقليمية والدولية إزاء الاحتجاجات ومسارات التغيير.

تطورت الاحتجاجات العراقية بشكلٍ دارماتيكي، والتي أثارها الفساد، والعوّل من العمل، والبنية التحتية المتهالكة، وقسوة القوات الأمنية في مواجهتها، إلى مطالبات الشباب المنتفض منذ أكتوبر/تشرين الأول 2019 بتغيير النظام أو الاصلاح. وقد أدى النظام الجديد لما بعد العام 2003 إلى تنظيم الوصول إلى موارد الدولة، والمناصب العامة، والتعبئة السياسية على أسس عرقية وطائفية وجماعاتية تعمل بنظام التحصيص، وتسيطر عليها نخبة سياسية ضيقة. وبدلاً من إعادة بناء بلد دمرته الحروب، استخدمت عائدات النفط لتوسيع نطاق العاملين في القطاع العام: أكثر من 8 ملايين شخص يعملون الآن لصالح الدولة، و25 بالمائة من الأموال العامة تهدر في الفساد. ومثل شباب أغلب البلدان العربية، فإن الشباب في العراق يعرفون أنه من دون تغيير في السياسة وطبيعة النظام، سيكون مستقبلهم قاتماً.

إن الشباب الذين يعانون من هشاشة مركبة، ويفتقرون إلى الموارد المطلوبة، هم بالتأكيد الأكثر عرضة لفقدان الأمن، وهم الأجدر على زعزعة الأمن في الوقت ذاته. لا تزال الانتفاضة ضد من يُنظر إليهم على أنهم نخب سياسية فاسدة، مستمرة، والثقة بهم معدومة، فهم غير قادرين على تحقيق حلول ناجحة للأزمات والمشكلات. وقد أصبح من الواضح أن البلدان العربية التي شهدت حركات اجتماعية، ومن بينها العراق، أن التغيير فيها لن يتحقق بين عشية وضحاها.

من جانب آخر وفي السياق ذاته، إن الخلفية الديموغرافية لمشكلات الشباب تتلخص في أنهم يؤلفون نسبة عالية من الهرم السكاني في العراق كما هو الحال في كثير من الدول النامية. لكن الشباب العراقي عانى مشكلات مركبة وكان ضحية سياسات غير مسؤولة دفعت به إلى ويلات الخراب والجهل، وفشلت في ايجاد فرص عمل كافية ومناسبة له، وتأطيره في الحياة العامة، ومن دون أن توفر له استحقاقاته في مجالات التدريب والتمكين والخدمات الصحية والثقافية. وتكشف تجارب بلدان عديدة أن الحروب حين تنتهي فأنها تضع آلافاً من المقاتلين الشباب في خضم أزمة البحث عن عمل جديد. وتتفاقم تلك الأزمة حين تتلكأ الدولة في إيجاد فرص ملائمة لاستيعابهم أو إيجاد مظلات أمان توفر لهم حدوداً دنيا على الأقل من الخدمات والمطالب.

يعتمد العراق بشكل أكبر على عائدات النفط، التي تمثل 99 بالمائة من عائدات التصدير، و90 بالمائة من الإيرادات الحكومية، و60 بالمائة من الناتج المحلي الإجمالي (وزارة التخطيط، 2019). وفي الوقت نفسه، لا تزال بيئة الأعمال في العراق سيئة للغاية، حيث تبلغ نسبة ممارسة أنشطة الأعمال في العراق نحو 22 بالمائة كما أن البلاد لديها واحدة من أدنى نسب العمالة إلى السكان في المنطقة. وقد أدت الاضطرابات الاجتماعية إلى سياسات قصيرة النظر لتهدئة المتظاهرين، حيث تواصل الدولة توسيع نسبة العاملين في الخدمة المدنية والقطاع العام وتقديم الإعانات المالية (كرشى مجتمعية)، ففاتورة الأجور العامة والرواتب تمثل الآن نحو 51 بالمائة من إجمالي الإنفاق، والكهرباء مدعومة بنسبة 91 بالمائة. ولكن الخدمات الاجتماعية وخدمات البنية التحتية للدولة استمرت في التدهور. وقد انهار الاستثمار العام في وقت تقدر فيه احتياجات إعادة الإعمار وحدها بنحو مائة مليار دولار جراء الحرب على داعش (وزارة التخطيط،4:2017). وفي الوقت نفسه، يقترب الحيز المالي إلى التدهور، حيث وصل الدين العام إلى الناتج المحلي الإجمالي إلى نحو 50 بالمائة في عام 2019.

2

المنهجية

تنظر مؤسسة فريدريش إيبرت إلى الشابات والشباب كعامل حاسم في التطور الديمقراطي في المنطقة، وهي حريصة على تعزيز إمكاناتهم لبدء التغيير في عالم السياسة وعبر المجتمع. استنادًا إلى نتائج دراسة »مأزق الشباب في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا« (غرتل/ هكسل 2019) التي بدأت في عام 2016 وشملت كل من من مصر والبحرين واليمن والأردن ولبنان والمغرب وفلسطين وسوريا وتونس (لم تشمل العراق حينها). تسعى مؤسسة فريدريش إيبرت إلى تعزيز مشاركة الشباب في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. كشفت نتائج الاستطلاع عن أوجه عدم اليقين التي تواجه الشباب من المنطقة في العديد من المجالات. ومع ذلك، في مواجهة هذه الضرورات، وجد الشباب طرقًا للتعامل مع الظروف الصعبة واكتشاف الحلول الخاصة بهم لتحقيق التقدم. وتطلع الكثير منهم إلى المستقبل بثقة، على الرغم من الاضطرابات الاقتصادية الكبرى وضآلة مجال المشاركة السياسية، فضلاً عن العنف والحرب والفقر والجوع في بعض البلدان في عام 2021، أطلقت مؤسسة فريدريش إيبرت مسحها التمثيلي الثاني واسع النطاق في الجزائر ومصر والعراق والأردن ولبنان وليبيا والمغرب وفلسطين والسودان وتونس واليمن وبين اللاجئين السوريين في لبنان. من خلال 1.000 مقابلة متعمقة لكل دولة، تنشئ دراسة الشباب في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا التابعة لمؤسسة فريدريش إيبرت قاعدة بيانات كبيرة من الإجابات على حوالي 200 سؤال تتعلق بالخلفية الشخصية للأشخاص الذين تمت مقابلتهم وإجاباتهم على مجموعة متنوعة من الموضوعات[1].

1.2 أخذ العينات وجمع البيانات

لأسباب تتعلق بالجدوى، تم اختيار طريقة أخذ عينات حصص وطنية تستهدف ما مجموعه 1000 مقابلة لكل دولة. يعتبر حجم العينة هذا كافياً لتوليد تمثيل مناسب للمجموعة المستهدفة وكذلك للمجموعات الفرعية الاجتماعية والديموغرافية والإقليمية (على سبيل المثال، العمر والجنس ومستوى التعليم).

في العراق، كان مركز البيان للدراسات والتخطيط هو المعهد المحلي المسؤول عن العمل الميداني وأخذ العينات. لدى المعهد مجموعة ثابتة من الأساليب لاختيار نقاط أخذ العينات وتحديد الأسر المؤهلة للمسح، بهدف جعل عملية الاختيار عشوائية قدر الإمكان. كان الهدف هو ضمان الانتشار الجغرافي للمستجيبين إلى أقصى حد ممكن وفقًا لتوزيع عالم المسح في الدولة المعنية. لكل منطقة جغرافية، قدمت المعاهد قائمة بنقاط أخذ العينات.

أجريت مرحلة العمل الميداني بين شهري سبتمبر ونوفمبر 2021. أجريت جميع المقابلات باللهجة المحلية. ووصل المسح في النهاية إلى 1000 عراقيا تتراوح أعمارهم بين 16 و30 عامًا من 18 محافظة، كما هو مخطط له. تم إجراء المقابلات في منازل المستجيبين أو في الأماكن العامة مثل المقاهي والمراكز المجتمعية وما شابه. كان من الأهمية أن يشعر المستجيبون بالراحة، لذلك تم اختيار موقع المقابلة وفقًا لذلك.

تم تخزين البيانات التي تم جمعها في قاعدة بيانات مركزية CAPI. أثناء العمل الميداني، أجرى Kantar Public التحقق من صحة البيانات بمجموعات من البيانات المؤقتة عبر بناء جمل Excel و SPSS (برنامج إحصائي). بالتوازي مع ذلك، أجرت Kantar Public وجامعة ليبزيغ Leipzig الفحص الشامل النهائي للبيانات.

للتأكد من أن الهيكل النهائي لأخذ العينات ينقل بنية عالم المسح، تمت إزالة الاختلافات عن طريق الترجيح العاملي. تم ترجيح بيانات المسح لجميع الفئات المستهدفة فيما يتعلق بالمتغيرات الهيكلية للعمر والجنس والمنطقة، بناءً على الإحصاءات المتاحة.

2.2 الخصائص الديمغرافية للعينة

من بين السكان الذين شملهم الاستطلاع (الشابات والشباب اللاتي/الذين تتراوح أعمارهن-هم بين 16 و30 عامًا)، يعيش 20 بالمائة في تجمعات سكنيّة ريفيّة (مع تعداد سكان يصل إلى 20,000 ساكن) بينما يعيش 50 بالمائة في المدن (20,000-500,000 ساكن) و21 بالمائة في المدن الكبرى (500,000 ساكن أو أكثر).

37 بالمائة من المستجيبين في الفئة العمرية 16-20 سنة، و34 بالمائة في الفئة العمرية 21-25 سنة، و 30 بالمائة في الفئة العمرية العليا 26-30 سنة. بالإضافة إلى ذلك، كان 67 بالمائة

1 لمزيد من المعلومات حول دراسة الشباب في منطقة الشّرق الأوسط وشمال إفريقيا التابعة لمؤسّسة فريدريش إيبرت، أنظر/ي: https://mena.fes.de/ar/topics/youth-study

من إجمالي العينة غير متزوجين (بما في ذلك من صرّحوا بأنّهم مخطوبون) وقت إجراء المسح (أعلى بين الذكور (74 بالمائة) من الإناث (60 بالمائة))، كما ذكر 29 بالمائة أنهم كانوا متزوجين (أعلى بين الإناث (35 بالمائة) من الذكور (23 بالمائة)).

في الحالة المعيشية، ذكرت الغالبية العظمى (74 بالمائة من المستجيبين) أنهم يعيشون مع والديهم داخل نفس الأسرة (84 بالمائة ذكور، إناث 64 بالمائة) بينما يعيش 19 بالمائة مع أسرهم (مع شريكهم / بدون والديهم).

أفاد أكثر من ثلث المستجيبين (39 بالمائة) أنهم كانوا طلابًا وقت إجراء المسح، وأفاد 61 بالمائة أنهم ليسوا طلابًا. كما أفاد (56 بالمائة) بأنهم التحقوا بالتعليم المدرسي، وأن 40 بالمائة منهم في التعليم الجامعي.

في ما يتعلّق بالمستوى التعليمي، أفاد 12 بالمائة من المستجيبين بأنّهم لم يحصلوا على أيّ تعليم رسمي في حين أفاد 25 بالمائة بأنّهم حصلوا على تعليم ابتدائي فقط، بينما صرّح 31 بالمائة بأنّ لديهم تعليم متوسط (ثانوي / متوسط) و32 بالمائة لديهم تعليم ثانوي (التوجيهي) فأعلى.

وأخيرا، ذكر 66 بالمائة أن رب الأسرة هو والدهم وذكر 14 بالمائة أن الأم هي ربة الأسرة، في حين أجاب 17 بالمائة أن الزوج / الزوجة هو رب الأسرة.

كما أعتمدت الدراسة الحالية، فضلاً عن بيانات المسح المشار إليها آنفاً، منهجية المراجعة التحليلية للأدبيات ذات الصلة، وبهذا ستكتسي الدراسة في جانها النظري والتحليلي بحسب البيانات المتاحة تغطية المحاور الآتية: التعبئة والمشاركة السياسية وجائحة كورونا والتنقل والحركة والهجرة.

3

مدخل نظري لفهم الميدان

يرصد الباحث سلسلة من التحولات المسندة إلى الوقائع الميدانية والملحوظات التحليلية، والتي كان قد شهدها العراق وألقت بظلالها على تشكيل ذاكرة وميول وإتجاهات وتناقضات الشباب، ولاسيما ضمن الفئات العمرية الثلاثة من الذين شملهم الاستطلاع. نسجت تلك التحولات وفقاً لخصائص وصيرورة تشكلها سرديات مختلفة ومتنازعة لفهم وتقييم الواقع الحالي، فضلاً عن الماضي المنظور. لذا من الأفضل تسميتها بـ»مأزق التحولات«، فبعضها رسخ قاراً في قناعات حامليها وأثر في رؤيتهم وتقييمهم للأحداث والأشخاص والوقائع، وآخر مرَّ عابراً بحكم صغر السن وتلاحق الأحداث والذاكرة الشفاهية المشوهة والمنقولة عبر فهم وتصورات البالغين من ذويهم. كما أثرت بشكلٍ وبآخر في مدى تعاطيهم السياسي والاجتماعي والاقتصادي، سواء أكان إغتراباً أو إهمالاً أو إهتماماً. ولغرض إيضاحها على نحوٍ موجز، ومن ثم ربطها بمسارات الدراسة الحالية، نفصلها على النحو الآتي:

1.3 غزو الكويت وخسارة الحرب (1990-2003)

خرج العراق للتو من حرب السنوات الثمان مع إيران مثقلاً بالديون والدماء والدمار. أعقبها على الفور بتهور غير مسبوق تمثل في غزو الكويت. خرج منها بجيش منهار وحصار اقتصادي خانق وعزلة شديدة عن العالم، ودكتاتورية مفرطة في قمع أي معارضة أو إنتفاضة أو حتى مخالفة في الرأي. وعقوبات دولية بتعويضات مالية لها أول وليس لها آخر. أنتجت بمجملها جيل محبط وملكوم ومحروم ويشعر بالحيف، معتق بالألم والسخط على النظام الحاكم، الذي عاد به إلى حقبة ما قبل الصناعة والتحديث. كما شهدت تلك المدة هجرة خارجية واسعة وارتفاع منسوب الجرائم، وكان من أبرزها الغش والرشوة والتزوير والسرقة والخطف.

2.3 الخلاص من الدكتاتورية والدخول في غياهب الديمقراطية المصطنعة (2003-2006)

خفتت نيران التحالف الدولي بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية في نيسان من العام 2003، لتشهد آخر فصول النظام البعثي في العراق، وفتحت الآفاق لتشكيل نظام ديمقراطي تعددي، إلا أنه مستنبت بفعل خارجي وظروف إحياؤه داخلياً لم تكن مؤاتية. صاحبه إعلان رسمي واعتراف دولي بوقوع العراق تحت سلطة قوات الإحتلال. حلَّ الجيش وتم تسريح قوات الأمن، مما ولَّد فراغاً مؤسسياً وغياباً شبه تاماً لإنفاذ القانون، أجواء مؤاتية لإنبثاق عمليات السلب والنهب، وتنامي أولى موجات العنف، فضلاً عن استقطاب حزبي وسياسي قائم على إذكاء الانتماء الديني والقومي والمذهبي. خلاص سرمدي من أصفاد الحصار الاقتصادي، وإرتفاع ملحوظ في مستوى الدخل، لكن التمرد والعنف صار وسم المرحلة. حاضر مشوش ومستقبل ضبابي. كما أن سلم التراتب الاجتماعي شهد حراك لافتاً صعوداً ونزولاً، فبعض الفئات التي كانت في الهامش وتعاني الحرمان والإستبعاد أصبحت في قمة الهرم، وأخرى كانت متنفذة أقصيت إلى الهامش وطالت بعضهم الملاحقات والتصفية، مما جعل تغيير النظام البعثي سردية مختلف عليها (مع، ضد، مع وضد في الآن معاً).

3.3 العنف الطائفي والتخندق الجماعاتي (2006-2013)

فتح تفجير مرقدي الإمامين العسكريين في سامراء في شباط من العام 2006 نوافذ وفيرة للإحتقان الطائفي والتوتر السني-الشيعي. حدثت جراءه موجات نزوح وتهجير قسري، ولَّد تمركز سكاني قائم على الفصل المذهبي والقومي، وأعاد ترتيب وتوزيع الجماعات على شكل كانتونات مناطقية. خوف ووجوم وإعادة اكتشاف وتعريف للذات والآخر. رافقها تشكيل أول حكومة وطنية منتخبة جرى نسجها وفقاً لشرعية صناديق الإقتراع، وعلى أسس قائمة على التحصيص (القومي، المذهبي، الحزبي). صنع على إثرها عرف سياسي رسخ توزيع السلطة والنفوذ بين الجماعات الكبرى المهيمنة (العرب السنة، العرب الشيعة، الأكراد)، وفتحت الأبواب على مصراعيها للتخادم والفساد وهدر الثروات، فضلاً عن تصاعد التمرد ومقاومة الاحتلال ورفض النظام المتولد عنها من قبل الخاسرين.

وعلى الرغم من تنظيم دورتين إنتخابيتين ووجود وفورات مالية وميزانيات إنفجارية، إلا أن واقع الخدمات والأمن وإعادة الاعمار بقيت وعود غير منجزة. نتج عنها إهتزاز الثقة بالنخب السياسية الحاكمة، وبالعملية الديمقراطية الوليدة والنظام الجديد. كما صاحبها موجات احتجاج ومطالبات بالإنفصال والأقلمة وتوفير الخدمات، فضلاً عن اتهام الحكومة بالتمييز والتحيز الطائفي. حازت تلك الشعارات والمطالبات أبرز مضامين تظاهرات سنتي 2011 و2013.

4.3 إرهاب داعش وسقوط المدن (2014-2018)

صحا العراقيون في العاشر من حزيران 2014 على صدمة إحتلال عصابات داعش الإرهابية لثلاثة محافظات عراقية تمثل مساحتها مايزيد عن ثلث مساحة العراق. وإعلانهم دولة الخلافة في العراق والشام، وإرتكابهم لجرائم أقل ما توصف بأنها بشعة، إشتملت على السبي والإغتصاب والقتل والتهجير. زامنها هروب وانسحاب وتخاذل القطعات العسكرية والأمنية الماسكة للأرض في تلك المناطق. كما صاحبها أيضاً موجات نزوح داخلي غير مسبوقة طالت نحو 5,5 مليون إنسان، فضلاً عن الهجرة الخارجية لعشرات الآلاف، جلهم من الشباب، توجهوا صوب أوروبا عبر البحر وقوارب الموت طلباً للجوء وهرباً من بلاد لا تتيح لأبنائها حياة كريمة.

حرب داخلية معلنة جرى التحشيد لها هذه المرة بفتوى دينية تأمر العباد بالجهاد لتحرير البلاد وطرد الغزاة. شكل على إثرها قوات موازية للجيش لسد النقص الحاصل جراء تسرب وهروب بعض قطعات القوات الأمنية، انضم في صفوفها أبناء الوسط والجنوب غالبيتهم من الشيعة، مما أعاد استقطاب الهوية الدينية والتوتر السني-الشيعي وتقاذف الاتهامات بين الفريقين بالتقصير والتخاذل. قتل الأمل الضعيف بتطور الديمقراطية وتصحيح مسارها، فضلاً عن فقدان الثقة المطلق بالسياسيين المتصدين لها. إستمرت ويلات الحرب حتى مطلع العام 2018 لتحرير الأراضي بالكامل، إلا أنها خلفت دماراً للمدن والممتلكات العامة والخاصة قدرت وفقاً لبيانات رسمية بنحو مائة مليار دولار.

5.3 إحتجاجات تشرين ومخاضات الجائحة (2019-2021)

لا يمكن النظر للحركة الإحتجاجية التشرينية في العراق بمعزل عن النمط الإحتجاجي العام الذي شهدته بلدان أخرى في المنطقة والعالم في العقد الأخير، والذي يتسم بغياب القيادة المركزية العمودية وبالطابع الأفقي اللامركزي للنشاط الإحتجاجي، وبالحضور الطاغي للشباب، وبالتنوع الداخلي، وبالتوجس من الظاهرة الحزبية، وبغياب الأيديولوجية السياسية الناظمة لخطاب الفئات المحتجة. لم تكن المطالبات هذه المرة تقتصر على تحقيق الخدمات والرفاه عبر التظاهر، بل تخطت آلياتها رفع الشعارات والاحتجاج إلى قطع الطرقات وتعطيل الدوام وإغلاق المؤسسات بالقوة، إضراب ونفير عام محفوف برغبة جامحة في التمرد ومواجهة السلطة. أما على صعيد المطالب فقد بدت ثورية الطابع وصعبة المنال، إسقاط النظام أو إصلاح شامل يبدأ بالإطاحة بالحكومة وإستبدالها بحكومة إنقاذ تأتلف من عناصر محايدة تكنوقراط لا يمثلون أي جهة سياسية مشاركة بالنظام. توكل إليها مهام استعادة هيبة الدولة وتحجيم الميلشيات ونزع سلاحها، ومحاكمة الفاسدين وإستعادة الأموال المنهوبة، فضلاً عن تهيئة كافة متطلبات إقامة انتخابات عادلة حرة ونزيهة وبإشراف أممي، تسمح بتغيير الخارطة السياسية وصعود المستقلين.

جوبهت بضراوة وقمع عال، فضلاً عن التشكيك والتخوين بفواعلها ومؤيديها واتهامهم بإتباع أجندات خارجية غير وطنية. نجح الشباب المنتفض في تغيير الحكومة والضغط لتغيير قانون الانتخابات وتشكيل مجلس مفوضين جديد، يضم في تشكيلته قضاة يعملون على إدارة الانتخابات. إلا أن جائحة كورونا فاجئت الجميع وقوضت الحياة والفضاء العام بوقت قصير، إنخفاض سريع لأسعار النفط وتردي الأسواق العالمية. عوامل خارجية غير محسوبة ساعدت على تفكيك خيام المضربين في ساحات الإعتصام، كما بدت مطالبات الحكومة الجديدة بمنحها الوقت الكافي لتحقيق ما أوكل إليها أمراً مقبولاً لفض الاحتجاجات.

لأول مرة يحجر الناس في منازلهم، ويكونوا مهووسين في مجابهة عدوا خفي قد يستلل في أي لحظة وعبر أي واسطة للفتك بهم. توقف للأعمال والآمال، عوز ومتطالبات بلا مدخرات تساعد في تلبية بعضها، أجواء سياسية واقتصادية خانقة، وإمتحانات صعبة لحكومة أزمة فتية وواعدة، ورثت مشكلات معقدة تحتاج إلى معاجز لحلحلتها، والعصى السحرية لتفكيكها مازالت بيد القدر، ولم يعرف طريقها بعد. أنه بحق غياب اليقين وترقب للاشيء.

التحولات الخمسة المشار إليها آنفاً توضح بشكلٍ ناجز نوعية الشباب الذين تمت مقابلتهم، فالفئة العمرية الأكبر سناً بينهم طحنت بجميع تلك المآزق. وصار لزاماً عليها المقارنة بين نظامين (قبل وبعد 2003)، كما أختبرت شتى أنواع الحروب والوعود والحركات والتنقل. فيما حصدت الفئة العمرية الوسطى (21-25 سنة) صورة مشوهة عن النظام السابق وخبرة كافية بمسار الحاضر، جاز لها التعامل أيضاً بمعايير المقارنة حتى وإن كان بعضها منقولاً لا معاشاً. في حين شكلت الفئة العمرية الأصغر سناً قطيعة مع الماضي، وأكثر جرأة وتعبيراً في مواجهة الحاضر، وضعف إرتباطها بالمرجعيات التقليدية (الدينية والعشائرية)، بل أكثر رغبة في التغيير العبثي وغير المنظم. وهذا ما ستفصح عنه خبايا نتائج الاستطلاع والدراسة الحالية.

4

التعبئة والمشاركة السياسية

في المحور الحالي سيتم التركيز على أهمية السياسة بالنسبة للشباب في العراق، والسعي لمعرفة مدى قربهم أو إبتعادهم عنها، لاسيما وهم مازالوا متأثرين بآليات ومآلات إحتجاجات تشرين في العام 2019، أياً كان موقفهم منها (مع، ضد، لامع ولاضد). كما أن انتخابات عام 2021 مثلت حدثاً مفصلياً في العراق، فضلاً عن إختبارهم ولأول مرة حكومة تصريف أعمال (حكومة السيد الكاظمي) والتي جاءت بنحوٍ يتيح لنا وصفها باللاحزبية وغير المحسوبة على جهة، إذ كانت من أبرز مخرجات التظاهرات الحاشدة في تشرين، والتي مثل غالبيتها الشباب.

فخلال العامين المنصرمين تعاطت الحكومة الجديدة مع العديد من الملفات الشائكة والساخنة، كان من أبرزها إنهاء الإضراب وتفكيك خيام المتظاهرين، تخطي أزمة جائحة كورونا، معالجة إنخفاض أسعار النفط عالمياً، تجاوز الأزمة الاقتصادية الخانقة وتوفير الرواتب، كبح جماح الميليشيات المسلحة بشكلٍ محدود، مواجهة بقايا فلول داعش، إغاثة ودعم النازحين وحل مشكلاتهم وتسهيل عودتهم، توفير الماء والكهرباء والوقود، إستعادة هيبة الدولة وفرض القانون، التوازن في العلاقات الخارجية، وأخيراً تهيئة الأجواء وإستكمال مسلتزمات إجراء انتخابات برلمانية نزيهة. وفقاً لتلك المعطيات يعيش الشباب في العراق صخباً سياسياً، قد يتيح لنا فرصة استكشاف مدى تسييسهم عبر الحراك الاجتماعي والاحتجاجات. ومدى مشاركتهم السياسية وإهتمامهم بها، وكيف ينظرون للدولة والحكومة ونظام الحكم.

يتقصى المحور الحالي مدى شعور الشباب بالاغتراب السياسي، ولا يكتفي بعرض وتحليل مجموعة من المواقف والآراء التي يعتمدها الشباب في العراق، بل يسعى بصورة أساسية إلى تقييم مدى أهمّية القضايا السياسيّة بالنسبة إليهم، ثمّ النظر في كيفيّة اهتمام الشباب بالسياسة. يمكن اعتبار أي اهتمام عام بالسياسة ركيزة لأيّ نوع من المشاركة الفعالة في الآليّات السياسيّة، مع العلم أن الاهتمام بالسياسية لا يُترجم عادة بصورة كاملة بمشاركة مدنيّة أو تعبئة سياسية. كما ينظر في الثقة التي توليها الشابات والشبّان في العراق لمختلف المؤسّسات، وخصوصاً الحكومة، ومدى رغبة الشباب في أن تلعب دوراً أكبر أم أقل في مجتمعهم. هناك نواح أخرى ذات صلة، لكنّها منفصلة إلى حدّ ما عن مسألة الثقة بالحكومة، تتمثل غالباً بمواقف الشباب تجاه النظام السياسي عموماً. ولا تقتصر المسألة هنا فقط على مدى قبول نمط النظام السياسيّ الذي يعيشون فيه، إنّما أيضاً على الخيارات المفضّلة لديهم بشأن البدائل الممكنة. كما يتناول أيضاً وجهات نظر الشباب بشأن أحداث الربيع العربي في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. والمسألة هنا لا تتعلق بما إذا كانوا قد رحبوا بتطورات محددة لكنها تتعدى ذلك إلى وجهات نظرهم إزاء تأثيراتها في التغيير السياسيّ والاجتماعي.

1.4 الاهتمام والإبتعاد عن السياسية

ينبغي التعامل مع تصريحات الشباب وادّعاءاتهم بشأن السياسة واهتمامهم بها بشيء من الحذر. إذ تشير بيانات المسح إلى أنَّ نسب الاهتمام بالسياسة متدنية من مجموع الشباب المستطلعين في العراق. ومن الضروريّ جداً ربط هذه البيانات مع بعض الخصائص والقضايا الأخرى ليتضح فحواها على نحوٍ أدق، إذ غالباً ما تخفي مفاهيم مختلفة جدّاً للمعنى الفعليّ للسياسة، ومن ثم الاهتمام بها. في بعض الأحيان يربط الشباب هذا المصطلح ويعنون به سياسة الأحزاب أو السياسة العامة للبلد الذي يعيشون فيه، لذا فهم غير مهتمّين بهذا النوع من السياسة، والتي غالباً ما كانت تعكس فقدان الثقة بالسياسيّين وأدائهم، والشعور بالإحباط إزاءهم، أو جراء عدم فاعلية النظام السياسي في تلبية احتياجاتهم وطموحاتهم.

أما جندرياً الذكور أعلى إهتماماً وبنحوٍ ملحوظ من الإناث بالسياسة، وربما يفسر ذلك إضطرارهم (في مجتمع ذكوري) مراجعة المؤسسات والدوائر الحكومية والإندكاك بالشأن العام لتحقيق مصالحهم الفردية والعائلية (تقع المسؤولية غالباً على الذكور)، إذ يتطلب ذلك بالضرورة معرفة بالقوانين والجهات المتنفذة والمتحكمة في شؤون البلاد، فضلاً عن ضرورة معرفتهم بما يجب تجنبه والابتعاد عنه لوقاية أنفسهم وأهليهم من شروره.

كما تفصح الفئات العمرية أن الاهتمام يتزايد مع ارتفاع العمر، فكلما كبر الإنسان زادت مسؤولياته تجاه نفسه وأسرته ومجتمعه. وكذلك الحال مع التعليم يتزايد الاهتمام بالسياسة كلما أرتفع نتيجة لإرتفاع الوعي والمسؤولية الاجتماعية. كما يزداد الإهتمام بتحسن الوضع الاقتصادي لحماية المصالح الاقتصادية من جانب، ولتوفر الوقت للإنشغال بالقضايا العامة من جانب آخر. وبحسب بيئة الإقامة ظهر الحضر وسكان المدن الكبيرة أعلى إهتماماً من الريف، لكون المدن والحواضر تمثل مركز المؤسسات الإدارية والسياسية وفيها يتم صناعة القرار وتداوله.

استحوذت أربعة مفاهيم وأوصاف على مدركات الشباب في العراق، وتم ربطها من قبلهم بكلمة »سياسة«. تصدر القائمة مفهوم الفساد، تبعته الحكومة، ثم السياسات الحزبية، وظهر أخيراً لأعلى التقييمات وصف المشكلات. أي أنّ السياسة لديهم تعني الفساد وممارسات الحكومة ومواصفاتها والسياسات الحزبية والمشكلات الناجمة عنها، وهي أوصاف بالعموم سلبية، تعكس واقع الشباب وتجربتهم مع الشأن السياسي في العراق فيما لم تنل أربعة مفاهيم وأوصاف إيجابية أخرى مرتبطة بالسياسة قناعات المستطلعين سوى بنسب متدنية، وهي (المشاركة المدنية، القوة، التمكين، الأمل، شيء آخر)، وهذا يفسر أنه لم يتلمسها ويدركها الشباب في الواقع السياسي والاجتماعي، لذا ظهرت بنسب متدنية.

وفي المقابل عبّر نحو 12 بالمائة من مجموع المستطلعين بأنهم (لا يعرفون) بماذا يربط الناس كلمة سياسة عند إستخدامها، وهذا يفسر ارتفاع نسب الأمية بين الشباب، مما يحول بينهم وبين معرفة العديد من القضايا ومن بينها الشؤون السياسية.

غالباً ما يقترن تبني الآراء وترسيخ المفاهيم والأوصاف بالمرحلة الزمنية والظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي يعيش في كنفها الأفراد، فضلاً عن ذلك فأن للإعلام دوراً كبيراً في صناعة وتوجيه الرأي العام. كما أن أداء المؤسسات ومدى فاعليتها وتقييم رضا الجمهور عن مسؤوليها وقياداتها ينعكس بشكلٍ وبآخر على قناعات الأفراد وربطهم لبعض الممارسات والنشاطات بالسياسة من دون غيرها. ولكون حالة العراق تشهد تداولاً يومياً واسعاً لأداء الحكومات المتعاقبة المخيب للآمال، وعن الفساد والنخب السياسية غير الكفوءة وهدرها للأموال، ودور وممارسات الأحزاب في التخادم وتقاسم المغانم والإفلات من العقاب والمحاسبة. شكلت تلك التصورات بمجملها فهم الشباب وتقييمهم السلبي عن السياسة في بلدهم. لذا أظهرت نتائج الاستطلاع أنّ نسبة متدنية جداً؛ نحو 16 بالمائة فقط من الشباب في العراق يستعلمون على نحوٍ نشيط عن أمور متعلقة بالسياسة. في حين انصبت إهتمامات غالبية المستطلعين المتبقين في شؤون الحياة الأخرى التي من شأنها تحقيق الإشباع المباشر لحاجاتهم، وديمومة العلاقات وتشارك المعلومات مع آخرين، أو الترفيه وخفض التوتر والتسلية.

وفيما يتعلّق بمصادر المعلومات المستخدمة للوصول إلى المعلومات السياسيّة بصورة حثيثة، بدا الشباب أكثر إيغالاً وميلاً نحو الوسائط الالكترونية والشبكة العنكبوتية منهم إلى الوسائط التقليدية، إذ أظهر المستطلعون تراتباً في أهمية تلك الوسائط. حلت أولاً وسائل التواصل الاجتماعي، تلاها التلفزيون، ثم مواقع الأنترنت، تبعها الحديث المباشر، فيما تذيل قائمة الوسائط المستخدمة المذياع والصحف. وهذا يفسر طبيعة المرحلة التي يعيشها في كنفها الشباب راهناً، إذ بالإمكان وصفهم بأنهم جيل الكتروني بإمتياز، وتتم متابعتهم للشؤون الخاصة والعامة عبر الجوال، فما عادوا يفضلون الجلوس أمام الشاشات الثابتة أو المذياع لساعات كما كان آباؤهم في الماضي، كما أن الصحف الورقية لم تعد الوسيلة الأرأس لمعرفة الأخبار وتدوال الشؤون الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، فقد تم الاستعاضة عنها بوسائل التواصل الاجتماعية التي ترفدهم بالأحداث بسرعة متناهية. كما كشفت نتائج الاستطلاع عن بيانات تفصيلية جاذبة توضح الأغراض والأنشطة التي يستخدم فيها الشباب شبكات التواصل الاجتماعي مثل الفيسبوك والمنتديات والواتساب. ستة منها انحصرت في الشؤون الذاتية للأفراد؛ ظهر أولاً استخدامها

الشّكل 1
الإهتمام بالسياسة

هل أنت مهتم بالسياسة؟

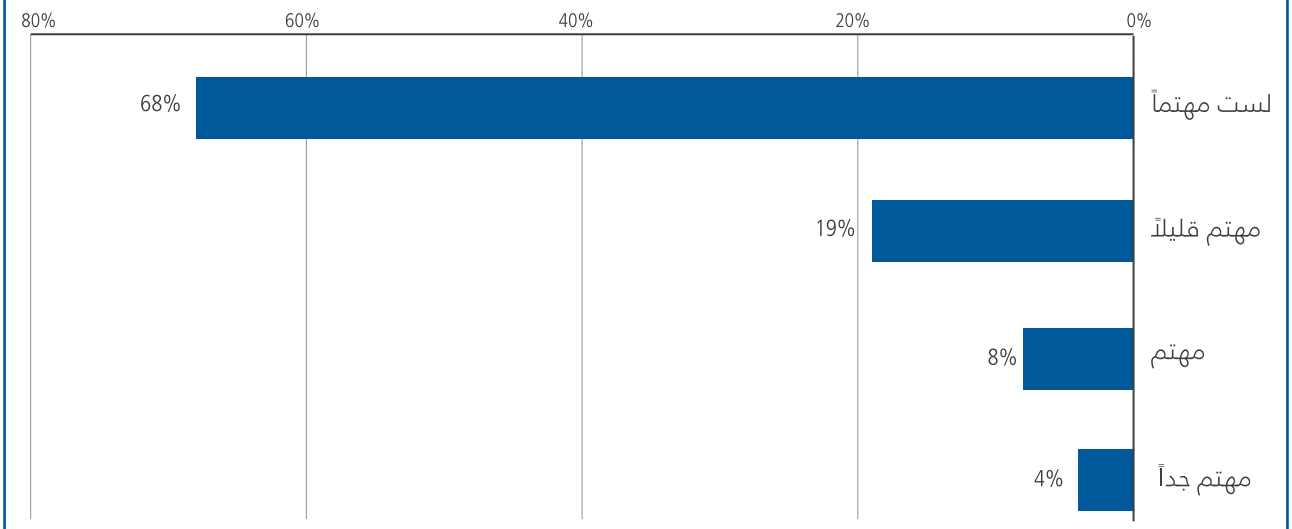

لغرض التواصل مع الأصدقاء والعائلة، لمتابعة أخبارهم دون كلف مالية باهضة أو وقت للإنتقال من مكان إلى مكان. تبعه الإستخدام لغرض الترفيه الشخصي، ثم مشاركة الموسيقى والفيديوهات والصور، فيما حلّ رابعاً تنظيم الاجتماعات مع الأصدقاء، فعبر هذه الوسائط يسهل معرفة تواجد الأفراد وظروفهم ومن ثم سهولة تنظيم مواعيد للقاءات والجلسات. لحقه البحث عن فرصة عمل، من خلال متابعة الإعلانات المتداولة أو عبر الصفحات الرسمية للمؤسسات والشركات وأرباب العمل، إذ أصبح الآن لأغلب المؤسسات والشركات واصحاب المهن صفحات ألكترونية يروجون من خلالها منتجاتهم واحتياجاتهم. في حين ورد في ذيل الاهتمامات الشخصية لاستخدام وسائل التواصل الاجتماعي البحث عن شريك حياة، فعلى الرغم من قلة نسبتها إلا أنها تعبر عن مؤشرين هامين: الأول يتمثل في تحول الشباب للبحث ألكترونياً عن شريك الحياة ولم يعد التفاعل الواقعي هو العامل الوحيد للبحث عنه كما كان في الماضي، والثاني يتمثل في أن غالبية الشباب المستطلعين مازالوا لا يثقون بهكذا نوع من الإرتباط لذا ظهرت بنسبة متدنية. من الجدير بالذكر أنه لم تعد الشؤون الدينية والسياسية تشغل تفكير وإهتمامات الشباب كما هو الحال مع الأجيال التي سبقتهم، فعلى الرغم من إتساع وغزارة المواد والنشاطات والبرامج الدينية والسياسية، والظهور المتكرر للشخصيات التي تصنف بكونها شخصيات دينية أو سياسية، إلا أن تأثيرها على الشباب أخذ بالإنحسار نتيجة لكثرة الوعود والخطابات والارشادات وندرة التنفيذ والتحقيق والصدق. لذا حصدت الشؤون السياسية والدينية الرصيد الأقل والإهتمام الأدنى من غايات الشباب في استخدام وسائل التواصل الاجتماعي.

تتوافق النتائج أعلاه مع تصورات الشباب ورؤاهم بشأن الإنجازات الممكن تحقيقها في حياتهم عبر مواقفهم وسلوكهم الشخصي إزاءها، بوصفهم أفراداً يتفاعلون مع وقائع وأحداث وممارسات وقضايا جاز لهم تصنيفها بأنها هامة للغاية ويسعون لتحقيقها أو غير هامة على الإطلاق وبوسعهم إهمالها. إذ أظهر الاستطلاع أنّ الشباب منحوا معدلات أهمية عالية جداً للعديد من القضايا ذات الطابع الشخصي والمتعلقة بنحوٍ كبير في آمال وطموحات الأفراد عن أنفسهم وعن طبيعة الحياة التي يريدون ويقررون أن يحيوها، من قبيل الإيمان بالله، أن يكون لدي شريك حياة يمكن الوثوق به، عيش حياة صحية وعن وعي، حياة عائلية جيدة ألخ.

في المقابل، وقد تعلق الأمر بإمتلاك السلطة والمشاركة السياسية، فقد منحها الشباب معدل أهمية متدنٍ بالقياس إلى ما سبقها من المجالات، إذ مُنح إمتلاك السلطة وممارسة النفوذ معدل أهمية بلغ (5,2)، في حين أكدوا أهمية المشاركة في المجالات السياسية بمعدل (4,4). تؤكد هذه المعطيات وتعزز مؤشرات الإهتمام والإبتعاد عن السياسة لدى الشباب في العراق، والتي سبق وأن تم تناولها وبشكلٍ متنوع المؤشرات، وأفضت بمجملها إلى تأكيد نفور الشباب من السياسة وإبتعاهم عنها، نتيجة لفساد السياسيين وهدرهم للأموال، ولطبيعة النظام الهش والقائم على التحصيص. أي أن السياسة والنخب السياسية لم تعد تمثل قناعات الشباب في تحقيق التغيير المنشود لحياة في بلد يطمحون أن يكون معافى ويحقق لهم عيش كريم.

الشّكل 2
أوصاف ومدركات المستطلعين لكلمة »سياسة«

عندما يستخدم الناس كلمة »سياسة«، بماذا تربطها؟

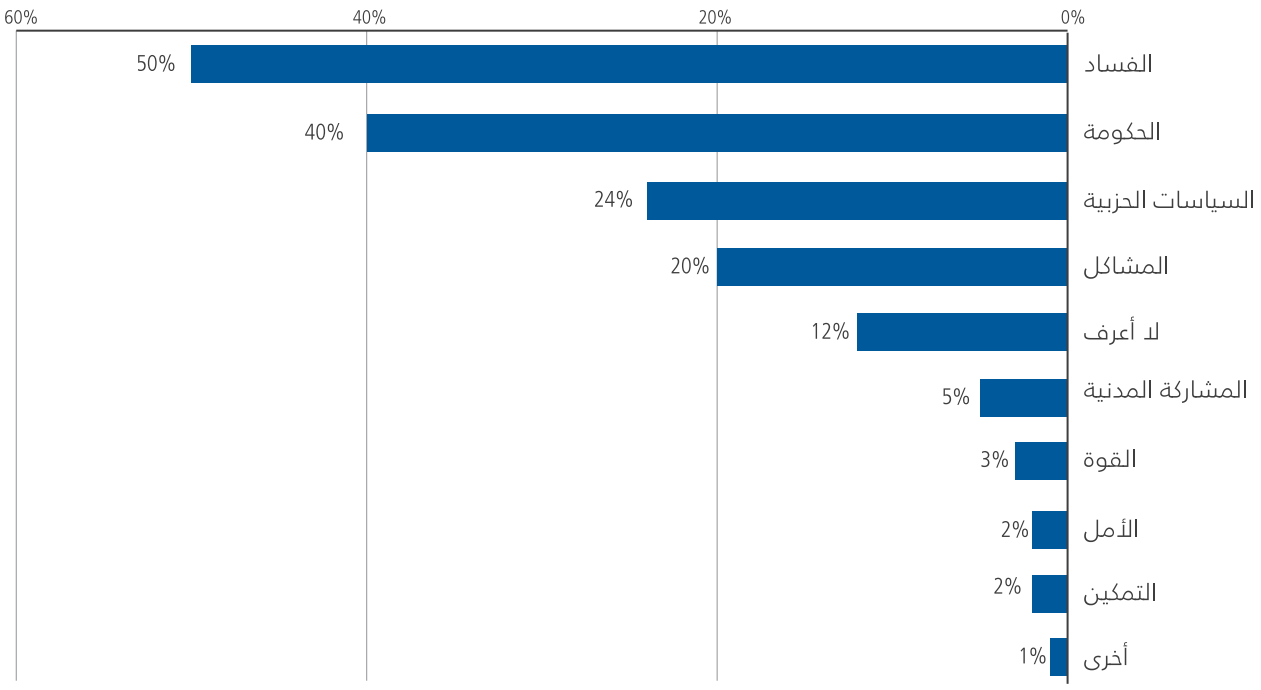

الشّكل 3
أهمية بعض القضايا والمجالات

نحن كأفراد لدينا تصورات ورؤى حول حياتنا الشخصية ومواقفنا وسلوكنا. إذا فكرت بالإنجازات الممكنة في حياتك، ما هي أهمية هذه النقاط بالنسبة لك؟

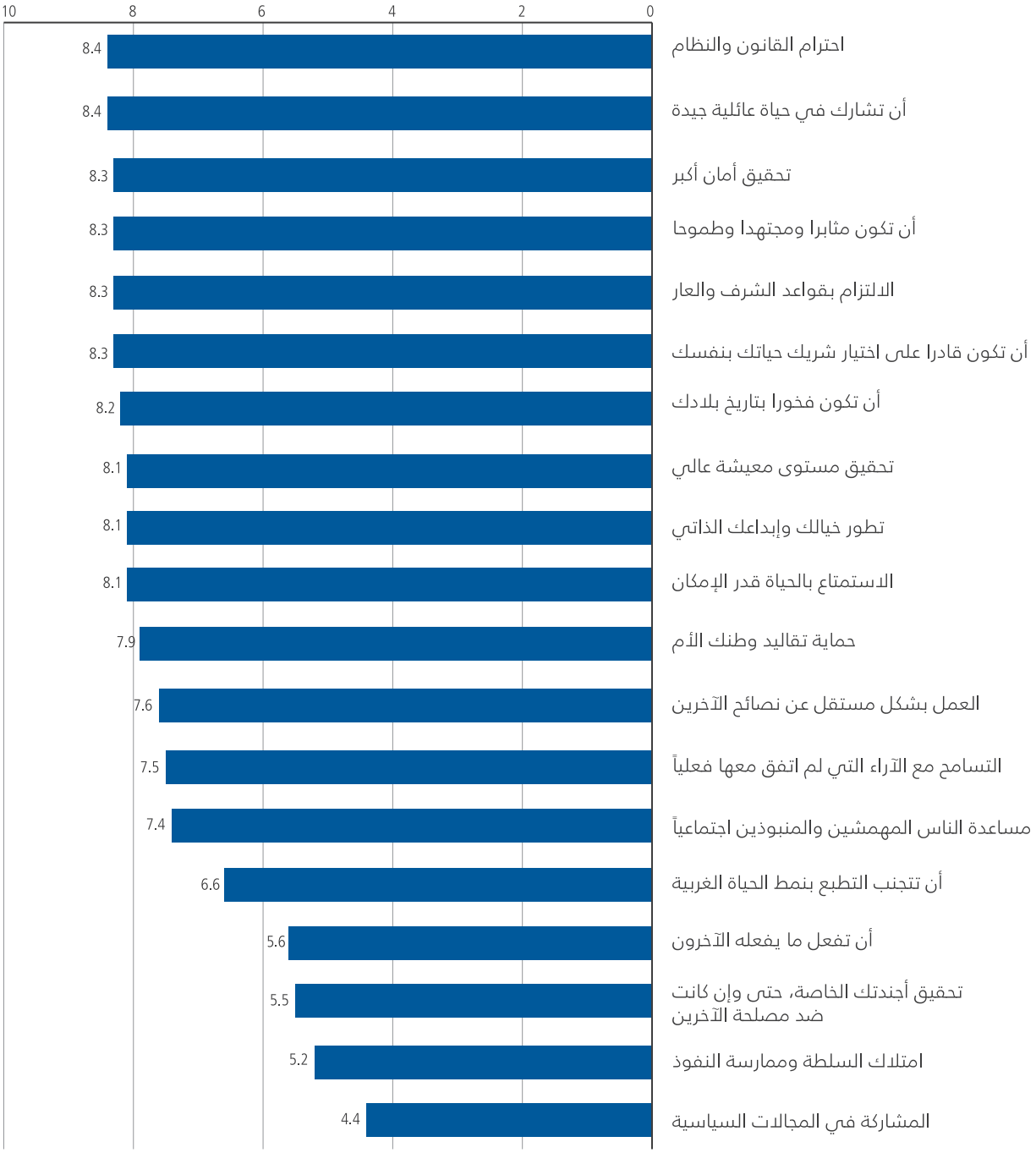

سلم من 1= غير مهمة على الإطلاق إلى 10= مهمة للغاية

2.4 النظام السياسي المفضل لدى الشابات والشباب في العراق

عندما سُئل الشباب في العراق عن النظام السياسيّ المفضّل لديهم، أفصحوا عن خيارات صادمة ومدهشة معاً، تعكس وعلى نحوٍ مرير تجاربهم مع الأنظمة السياسية التي نشؤوا في كنفها، كما تعبر وعلى نحوٍ كبير عن آمالهم في النظام السياسي الذي يطمحون ان يحيون فيه. تصدر تفضيلاتهم نظام سياسي يحكمه »رجل قوي« يقود البلاد ربما يفسر ذلك التوجه الطاغي وهشاشة النظام الديمقراطي الناشيء وغير الراسخ المعمول به في البلاد حالياً. فيما عبر خمس المستطلعين أن تفضيلهم الثاني يتطلع إلى نظام ديمقراطي. أي إن نحو ثلاثة أرباع الشباب في العراق يتوقون إلى نظام ديمقراطي يحكمه رجل قوي يقود البلاد نحو بر الأمان والرفاه والعمران.

فيما كشفت نسبة 8 بالمائة فقط تفضيلهم لـ »إمرأة قوية تقود البلاد«، لكن كانت غالبيتهم من النساء، وجلهم من الفئة العمرية الأصغر سناً، من ذوي المستوى التعليمي المتوسط والعالي، معظمهم من سكان الحضر والمدن الكبيرة من سكان الريف. وعلى الرغم من إنخفاض نسبة الخيار هذا إلا أنه يعد مؤشراً هاماً على مدى وعي بعض النساء وثقتهن بأنهن قادرات على لعب دور أفضل في السياسة وشؤون البلاد. كما يكشف عن تحولاً ثقافياً واجتماعياً (وإن كان محدوداً) إزاء النساء دورهن في المجتمع، وتقبل أكبر وأقل حساسية تجاه الفوارق الجندرية لدى الشباب اليافعين الذكور بأنهن قادرات على ممارسة السياسية في مجتمع ذكوري بإمتياز. وربما يساعد في فهم هذا التحول وتزايد الوعي تجاهه ما تقوم به منظمات المجتمع المدني الدولية والمحلية، والورش والندوات والجلسات الحوارية التي تقيمها الجامعات ومراكز الأبحاث والمنتديات الثقافية والتجمعات التطوعية لتشجيع النسوية ومحاربة الفوارق الجندرية والسعي لإضطلاع النساء بدور أكبر في المجتمع.

فيما لم تحصد الأنواع الأخرى من الأنظمة السياسية الهجينة أو التقليدية سوى نسب متدنية تتراوح بين 1 بالمائة و4 بالمائة من مجموع تفضيلات الشباب، وهي نظام ديمقراطي وإسلامي مشترك، دولة دينية قائمة على أساس الشريعة، نظام إشتراكي، نظام ديمقراطي وإسلامي مشترك أو شيء آخر. وهذا يدل على ضعف ميل الشباب نحو الأنظمة السياسية ذات الطابع الديني، سواء كانت خالصة أو هجينة ومركبة مع شكل آخر حداثوي أو معاصر، وربما يمثل ذلك إنعكاساً صريحاً لتجربتهم الحالية مع الإسلام السياسي ونفورهم منه، وميلهم نحو نظام مدني يكفل الحقوق الدينية ولا يسمح بهيمنة الشؤون الدينية على الحياة العامة. فهم يطالبون بتحقيق الرفاه والخدمات وليس الإيغال في الطقوس والشعائر والتركيز على الممارسات الدينية. كما أنهم لا يريدون إعادة تجربة النظام الاشتراكي (البعثي الدكتاتوري الذي حكم العراق قبل 2003 وأثبت فشله). في حين أشار نحو 6 بالمائة فقط بأنهم »لا يعرفون«، وهذا يؤكد مرة أخرى أثر الأمية وترك التعليم والجهل بين أوساط بعض الشباب.

3.4 الثقة بالمؤسسات ودور الحكومة

تشير نتائج المسح إلى أن تأثير تقييمات الشباب بالمؤسسات وفقاً للآني والمرحلي والبركماتي العملي والمباشر. فهم من جانب، صدموا بجائحة كورونا وتبين لهم الكيفية التي تعاملت معها أسرهم لحمايتهم وتوفير مسلتزمات الحياة لهم رغم الصعوبات، ناهيك عن إرتفاع منسوب التضامن والتساند بين أفرادها وتقاربهم من بعضهم البعض جراء الحجر في المنازل وعلى نحوٍ أكبر لتجاوز الأزمة. تبقى العائلة (وإمتداداتها وأن كانت على نحو أقل كما هو الحال مع العشيرة) المؤسسة الأكثر موضعاً للثقة، ففي العادة يمنح الأشخاص ثقة عالية لذويهم ولاسيما في المجتمعات ذات التضامن والقائم على العلاقات المباشرة وغير الرسمية.

كما لعبت اللجنة العليا للصحة والسلامة الوطنية، والمكلفة من قبل الحكومة في إدارة الجائحة، ووزارة الصحة والأطباء والعاملين في النظام الصحي في القطاعين العام والخاص والمتطوعين، فضلاً عن مساندة الأجهزة الأمنية (الشرطة والجيش، ناهيك عن دورهما في مكافحة الإرهاب والخارجين عن القانون والانتصار على داعش) وكذلك التجار والمتبرعين دوراً فاعلاً لتفادي مخاطر الأزمة والتخفيف منها، لذا ظهر مستوى الرضا عن القطاع الصحي والجهات الساندة على نحوٍ مرتفع. كذلك الحال مع بدائل التعليم وتحوله من الدوام المباشر إلى التعليم الألكتروني وبإستجابة سريعة من قبل وزارتي التعليم العالي والتربية، مما عزز من أهمية المؤسستين والثقة بهما، على الرغم من الإخفاقات والمشكلات اللاتي يعانين منها، مما يؤكد تأثير الإستجابة الآنية والمباشرة على تقييمات المستطلعين وثقتهم.

فمن بين 18 مؤسسة وجهة جرى عرضها على الشباب خلال الاستطلاع عبر قائمة طويلة ومتنوعة، تم سؤالهم عن مدى ثقتهم بكل واحدة منها على نحو مستقل. أكتسبت ثمانية من بينها ثقة وإستحسان ورضا الشباب في العراق بنسب عالية، وردت بالمرتبة الأولى العائلة ثم الشرطة، تبعها الجيش، ثم القبيلة/ العشيرة، فنظام التعليم، ثم نظام الصحة العام، تبعه النظام القضائي والمحاكم، ومنظمات حقوق الإنسان. أي تعاطى الشباب عند تقييمهم للمؤسسات وفقاً لمبدأ عملي قائم على: »خدمات مباشرة وأعمال ونشاطات ملموسة تساوي مستوى رضا أعلى وتقييم أكبر للمؤسسات«.

فيما نالت سبعة مؤسسات وجهات أخرى مستوى ثقة تجميعية ضعيف، وهي وسائل التواصل الاجتماعي، ثم المنظمات الدينية، وجمعيات الأحياء، ثم الإعلام، تبعه النقابات العمالية، ثم الأمم المتحدة، وأخيراً الحكومة. وكان ذلك أما لكونها تقدم نشاطات وفعاليات غير موثوقة وغير محايدة أو دون المستوى المطلوب، أو لكون تاثيرها محدود وغير فعال، أو لأنها تخدم شرائح محدودة وغير واسعة النطاق، فضلاً عن ضعف تلمسها وإدراكها من قبل الشباب.

الشّكل 4
الثقة في المؤسّسات

ماهي ثقتك بمختلف المؤسسات ؟

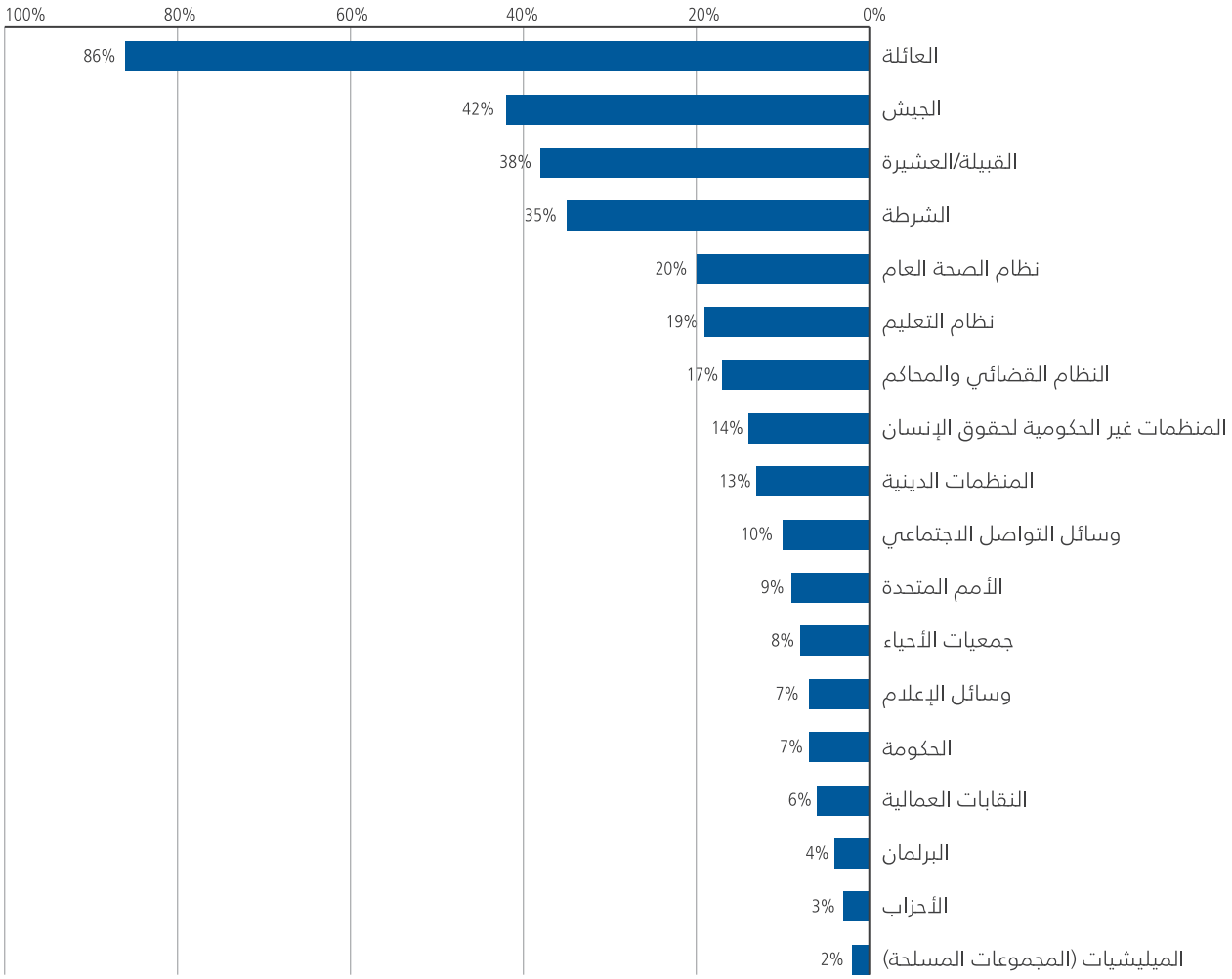

في حين بدا الشباب أكثر تعبيراً عن خيبة أملهم وعدم ثقتهم بالبرلمان والأحزاب السياسية الماسكة بالسلطة لعدم قدرتهم على لعب دوراً أفضل في البلاد، وأكثر خشية على حياتهم ومستقبلهم من المجموعات المسلحة، إذ منحوها جميعاً مستوى ثقة متدنٍ جداً.

وللتعرف على وجهات نظر الشباب إزاء الدور الذي يجب أن تلعبه الحكومة في المجتمع، مقارنة بالدور الذي تلعبه راهناً في الواقع. وجدت الدراسة أنّ الحكومة تحظى بدرجة قبول عند الشباب في العراق، فعلى الرغم من أن ثقتهم بقدرتها على تحقيق مسؤولياتها الكاملة ووعودها كان ضعيفاً، إلا أن نحو ثلاثة أرباع المستطلعة آراؤهم يفضّلون أن تلعب الحكومة دوراً أكبر في الحياة اليوميّة إذ يطمح هؤلاء إلى إحتكار السلطة من قبل الحكومة ومنع تدخل جماعات النفوذ والمصالح والميليشيات في شؤون الناس وحرياتهم ومعتقداتهم وتوجهاتهم. في المقابل يعتقد نحو 13 بالمائة بأن دورها جيّد كما هو الآن ربما لكونهم يخشون من تعاظم سلطتها فيما لو منحت دوراً أكبر. في حين وُجد أنّ جزء صغير جداً من الشباب يفضّلون أن تلعب الحكومة دوراً ثانوياً في الحياة اليوميّة، إذ يرى هؤلاء أن مصالحهم وحرياتهم تتطلب دوراً أقل للحكومة مما هي عليه الآن.

تؤشر النتائج أعلاه وعياً سياسياً هاماً لدى الشباب فيما يتعلق بالشرعيّة وفرض سلطة القانون وقسرها بيد الحكومة كونها الممثل القانوني والشرعي للدولة. فلم تظهر الفروق الاجتماعية للشباب على نحو دال بوجود تباينات جوهرية، على العكس تماماً أقتربت إجاباتهم من التماثل وبمختلف خلفياتهم الاجتماعية إزاء ذلك. مما يساعد على فهم أن السبب في ذلك ربما يعود إلى تصفية الدولة ومؤسّساتها في العراق جراء تغيير النظام في العام 2003، وهشاشة الحكومات المتعاقبة وأداء المؤسسات التي شكلت بعد ذلك، فضلاً عن تعدد المرجعيات التي تملك القرار والنفوذ مقابل الحكومة، مما جعل نظرة الشباب مشككة في غالب الأحيان، وأخذوا يطالبون بدور أكبر وفاعل للحكومة،

حتّى وإن لم تحقق مؤسّساتها الوعود التي قطعتها لمواطنيها بنحوٍ فاعل كمكافحة العنف، ومحاسبة الفاسدين والخارجين عن القانون، وتأمين الاحتياجات الأساسيّة، وحرّية الرأي والتعبير.

كما توضح تلك التفضيلات المختلفة أنّ المطالبة بدور أكبر للدولة في الحياة اليوميّة لا يتعلّق بالضرورة بالرغبة في اكتساب الدولة المزيد من النفوذ، لكنّها ترافقت في أحيان كثيرة مع الرغبة في تحقيق أداء كفء وفعال وشرعي لمؤسّسات الدولة.

4.4 معدلات الرضا عن الحياة: مؤشرات المساواة والتمييز

يقدّم اختيار الشباب واتفاقهم من عدمه مع توصيفات المساواة في الحقوق أو التهميش والتمييز بين المواطنين، دليل أوّلي يساعد على تفسير سبب ارتفاع منسوب المطالب والآمال المتعلقة بالدولة والحكومة والنظام معاً. كما يقدم فهما وافياً لمدى شعورهم بالمساواة والعدل أو التهميش والإقصاء في مجتمعهم، فتفاقم حالة غياب العدل يوتّر في كلّ جانب من جوانب حياة الشباب. لذا فإنّ الأمن الاجتماعيّ والمادّي بوصفه مسؤوليّة تقليديّة تختص بها الحكومة يمثل العامل الأكثر أهمّية في أوساط الأشخاص الذين شملهم المسح، بغض النظر عن سنّهم. كما أن توزيع الدخل والثروة والمشاركة السياسية والمدنية التي تقوم على مبدأ عدالة إتاحة الفرص أمام الجميع، تمثل بمجملها مدى توازن وحيادية النظام في التعامل مع مواطنيه، كما وتعكس أيضاً طبيعة القوانين النافذة ومدى رصانة المؤسسات في التطبيق.

إذ ان البيانات الناتجة عن الاستطلاع تعكس إيغال واستشراء إجراءات التحصيص والتعامل الفئوي والجماعاتي والحزبي في إشغال الوظائف العامة، ومنح الإمتيازات والهبات، وتوزيع الدخل والثروة، والتمثيل والمشاركة، بأنه متاح لفئات معينة بنحوٍ أكبر من فئات وجماعات أخرى، أما لكبر حجم هذه الجماعة أو تلك، أو لهيمنتها السياسية وإتساع تمثيلها في البرلمان والحكومة ومؤسسات الدولة، فضلاً عن تأكيد وتكرار ألفاظ تدل على التقسيم المكوناتي (الديني، القومي، العشائري، المناطقي) في القوانين والتعليمات والموازنات المالية للدولة. مما جعل شعور الشباب يؤكد التفاوت الاجتماعي والسياسي الحاصل في البلاد بين من يشعرون بعدم المساواة أو التهميش أو أنهم من الأقلية، قابلهم من يشعرون بأن متساوون في الحقوق كونهم حاصلون على تمثيل ومشاركة وإمتيازات على نحوٍ أكبر.

من جانب آخر وفي السياق ذاته، قيّم الشباب في الاستطلاع درجة الرضا عن الحياة بين الناس في العراق بمستوى رضاً متوسطاً. جندرياً ظهرت الإناث أعلى في تقييمهن لمعدل رضا الناس، وربما يعود السبب في ذلك إلى كونهن يعشن في بيئات محافظة توكل فيها المسؤوليات على الذكور، وهذا يجعلهن أقل تحملاً للمخاطر وأكثر تسليماً وقبولاً بالواقع. وعلى صعيد الفئات العمرية الشباب الأصغر سناً أعلى توقعاً لرضا الناس من باقي الفئات وبفارق طفيف، كونهم مازالوا في مقتبل العمر ومنسوب الأمل لديهم كبير. فيما ظهر ذوي المستوى التعليمي المنخفض والمتوسط إعلى بنحوٍ طفيف من ذوي التعليم العالي، إذ يساعد التعليم العالي على أرتفاع الملكات النقدية وفهم الواقع لدى حامليه ويزيد لديهم الميل نحو الرغبة في التغيير والتطوير وعدم الرضا بواقع الحال، وتنخفض بإنخفاضه مما يجعل ذوي التعليم المنخفض أكثر شعوراً بالرضا عما سواهم. كما أبدى ذوي الوضع الاقتصادي الجيد توقع أعلى لمستوى رضا الناس عن الحياة، إذ تتيح الوفرة المالية قناعات أكبر بالرضا لدى أصحابها. أما على صعيد بيئة الإقامة فقد ظهر سكان الريف أعلى بنحوٍ طفيف عن سكان الحضر والمدن الكبيرة، كون سكان الريف أعلى تسليماً للقدر وأكثر بساطة في العيش من سكان الحضر والمدن الكبيرة.

في حين قيّم الشباب درجة رضاهم عن الحياة في العراق مؤخراً بمستوى رضاً متوسطاً أيضاً مع فارق طفيف. جندرياً ظهرت الإناث أعلى في تقييمهن لمعدل رضاهن عن الحياة، وعلى صعيد الفئات العمرية الشباب الأصغر سناً أعلى معدلاً للرضا عن الحياة من باقي الفئات وبفارق طفيف، فيما ظهر ذوي المستوى التعليمي العالي والمتوسط أعلى بنحوٍ طفيف من ذوي التعليم المنخفض، كما أبدى ذوي الوضع الاقتصادي الجيد مستوى رضاً أعلى عن الحياة، أما على صعيد بيئة الإقامة فقد ظهر تقييم الرضا عن الحياة أقرب ما يكون للتطابق.

أما شعور الشباب حيال الإختلاف بين درجة رضا الناس عن الحياة في العراق ودرجة رضا المستطلعين أنفسهم عنها، فقد أفاد نحو نصف المستطلعين بأن مشاعرهم سلبية، في المقابل صرح ربع مجموع الشباب المستطلعين تقريبا بأن مشاعرهم إيجابية، أما الباقين فصرحوا بأنهم غير مهتمين حيال ذلك. تفسر البيانات أن ما يقرب من نصف المستطلعين محبطين إزاء وضعهم الخاص جراء الأوضاع العامة في البلاد نتيجة لأضطراب الشأن السياسي والاقتصادي وتردي الخدمات ومحدودية الفرص للعمل والترفية وللتمايز في توزيع الدخل والثروة، فضلاً عن إحباطهم إزاء الوضع العام. فيما بدا ربع المستطلعين من الفئات التي شملتهم الفرص والامتيازات التي تمنحها وترعاها الحكومة والأحزاب والقوى السياسية المتنفذة، وتقدمها للموظفين في القطاع العام وذيهم، المنخرطون في التنظيمات الحزبية، عوائل الشهداء، الجرحى، عوائل ضحايا العمليات الإرهابية، المنخرطون في التنظيمات المسلحة، التجار والمقاولون »وذويهم« المتعاقدون مع الحكومة ومؤسساتها والأحزاب..ألخ. في المقابل ظهر ما يقرب من ربع المستطلعين بشعور إنعزالي وغير مبالي إزاء ما يجري من أحداث ووقائع نتيجة لخيبات الأمل المتكررة وضعف التمكين والقدرة على التغيير مما دفعهم للاستسلام وعدم المبالاة.

1.4.4 التقييم والتعبئة في الاحتجاجات: أحداث ما بعد 2011

تؤكد وعلى نحوٍ مرير وقائع التاريخ أن منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا كانت قد شهدت ثورات توقف حدوثها منذ خمسينيات وستينيات القرن الماضي، وتحوّل غالبية ثوارها بعد نجاحها إلى بيروقراطيّين وديكتاتوريّين، واختفى نتيجة لذلك المثال الأعلى للثورة بصورة كبيرة من المنطقة. مما أدى إلى انتشار مشاعر اليأس وخيبة الأمل بين معاصريها وعلى نطاق واسع بعد الانتفاضات والثورات التي شهدتها بلدانهم في حينها. وأخذ يُنظر جراء ذلك إلى الثورات بنحو سلبيٍّ، في سياق فشل مرحلة ما بعد الاستعمار خلال النصف الثاني من القرن العشرين. بدلاً من ذلك أصبح الإصلاح هو المثل الأعلى لتحقيق التغيير.

لذا، ظهرت مطالب إحتجاجات عام 2011 على نحوٍ يحابي الإصلاح بإمتياز، ولم تكن تهدف إلى تغيير الأنظمة الاجتماعيّة والنظم السياسيّة. فلم يعتمد المتظاهرون أساليب أو وسائل للاستيلاء على السلطة، ولم يحضروا أنفسهم لمثل هذا أصلاً. في النتيجة، فشلت الانتفاضات وحقّقت نتيجة تصنف بكونها سلبيّة ومدمّرة إلى كلّ من المؤيدين والمعارضين لها. وقد يكون العديد من الشباب قد شاركوا بصورة عفويّة في مظاهرة ما ومن دون نيتهم المسبقة لذلك. لكن آخرين ممن شاركوا في الماضي منعتهم خيبة الأمل من أثر النشاط السياسي سابقاً من الأخذ بالاعتبار المشاركة والتفاعل في المستقبل.

في الماضي كانت الأحداث السياسية الواقعة في بلدٍ ما تؤثر في بلدان المنطقة المجاورة والمحايثة لها، فمن جانب كان هناك تماثلٍ عالٍ في الظروف الاجتماعية والسياسية، ومن جانب آخر كان منسوب الشعور بالقومية العربية والتاريخ المشترك مؤثر غاية التأثير في الأجيال التي رافقة حدوثها. وللمقارنة مع شباب اليوم، ولمعرفة مدى تفاعلهم وتأثرهم إزاء الأحداث الحاصلة في المنطقة ولغرض إلقاء الضوء على كيفيّة نظر المشاركين في الاستطلاع إلى أحداث 2011 قبل أكثر من عشرة سنوات، من المفيد أن نلقى نظرة فاحصة على المصطلحات التي يُستخدمونها للدلالة على هذه الأحداث، وكذلك التقييمات التي تؤشر نحوها، إذ تم طرح السؤال التالي عليهم: كيف تسمي الأحداث الجارية في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في تلك المدة؟

أجاب وعلى نحوٍ صادم أكثر من نصف مجموع الشباب المستطلعين في العراق بـ»لا أعرف«. فيما فضل عدد قليل عدم الإجابة أصلاً. أي أن نحو (70 بالمائة) أما كانوا صغاراً في السن ولم يدركوا وقوع تلك الأحداث ولم يسمعوا بها، كون الشباب المستطلعين ضمن الفئة العمرية 16-20 سنة كانت أعمارهم في العام 2011 تتراوح بين 6 و10 سنوات، أي أن إهتماماتهم السياسية وإدراكهم للشأن العام لم يكن قد نضج بعد. ومما يسفر ذلك أيضاً أن بعضهم كانوا غير متابعين للأحداث ولم تأخذ حيزاً من إهتمامهم يتيح لهم فرصة وافية لوصفها وتسميتها، مما يؤشر نحواً من القطيعة واللامبالاة إزاءها، فما عاد الشعور القومي والاهتمام بالقضايا والأحداث التي تمس شعوب المنطقة تثير إهتمام جميع أبناءها كما في الماضي.

فيما وصف ما يزيد عن خمس المستطلعين تلك الأحداث بأربعة أوصاف إيجابية تعبر عن تقييمٍ مؤيد لها، توزعت بحسب المسميات على النحو الآتي ثورة، إنتفاضة، الربيع العربي، حركة شعبية. في المقابل وصف عدد من المستطلعين تلك الأحداث بسبعة أوصاف سلبية تعبر عن تقييمٍ معارضٍ لها، توزعت بحسب المسميات على النحو الآتي: فوضى، حرب أهلية، تدخل أجنبي، تمرد، أعمال شغب، إنقلاب، عصيان مسلح. تشير هذه النتائج مرة أخرى بقطيعة بعض الشباب في العراق وعدم مبالاتهم، أو عدم معرفتهم الوافية بالأحداث الحاصلة في المنطقة، إذ أفاد وعلى نحوٍ صريح نصف المستطلعين تقريبا بأنهم لا يعرفون أو لا يرغبون بالإجابة على جميع العبارات التي طرحت عليهم.

في المقابل أظهرت إجابات المستطلعين أنهم يرون أنّ في الخروج على النظام حتى مع فساده زعزعة للأمن والاستقرار وتعطيل للشؤون والمصالح، فضلاً عن حصول المزيد من العنف وفتح الباب للتدخلات الخارجية والتحريض وإثارة الفتنة بين أبناء البلد، وبالنتيجة لا يتغير شيء سوى بعض الوجوه السياسية وأبدالها بأخرى تديم الخراب ذاته. إذ أن نسبة كبيرة (33 بالمائة)

الشّكل 5
الأحداث الجارية في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا في 2011/2010

كيف تسمي الأحداث الجارية في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في 2011/2010؟

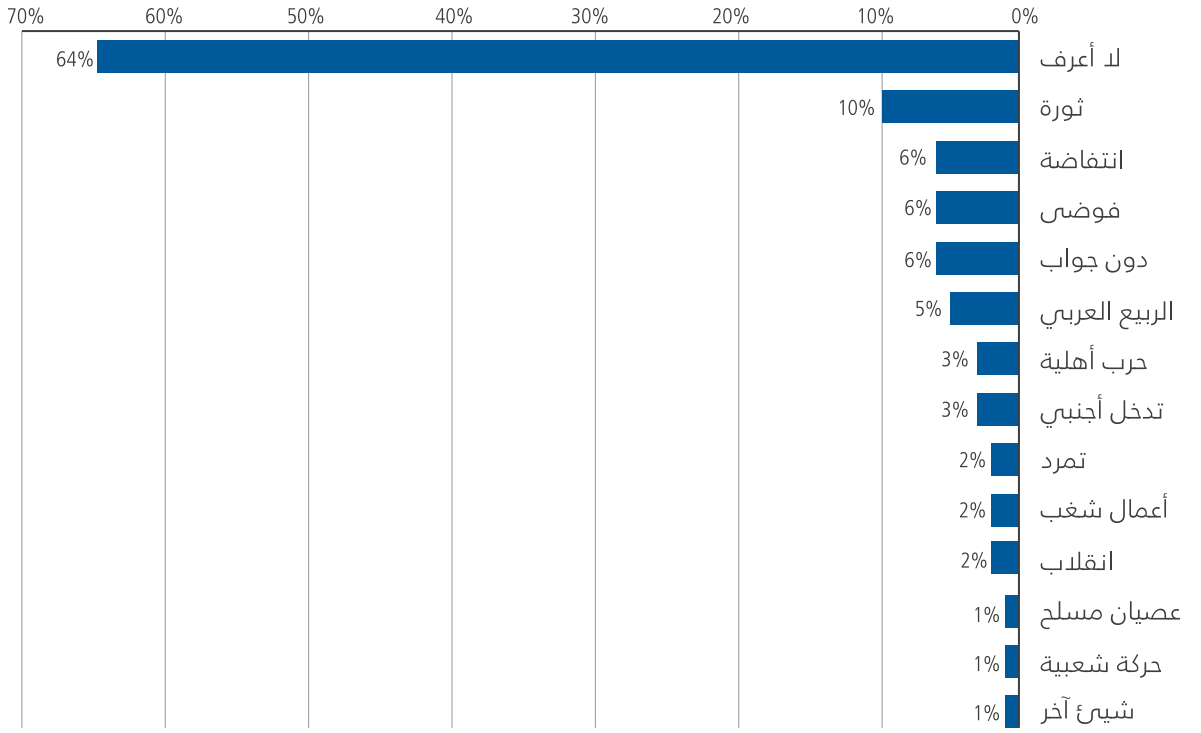

»إجابات متعددة ممكنة«

وصفت الأحداث بأن بدأها الشباب ثم خطفها آخرون. في حين حَمَلَّ عدد كبير من المستطلعين (32 بالمائة) الأحداث مسؤولية الإنتشار الواسع للعنف. وشَكّكَ عدد كبير أيضاً (29 بالمائة) بأن القوى الخارجية الفاعلة حرضت على الأحداث. فيما يعتقد عدد من المستطلعين (32 بالمائة) بأن الأحداث لم تغير شيئاً. ولكن، كانت إحدى أكثر الإجابات شيوعا لدى المستطلعين هي عبارة »لا أعرف«، والتي تمثّل نسبة 42 بالمائة من الإجابات في كل حالة.

وفي نفس السياق، تفاعل ما بين عُشُر وثُلُث المستطلعين بشكل إيجابي مع هذه الأحداث.

يرى هؤلاء الشباب أن التغيير غاية لتحقيق حياة أفضل في البلاد، وهم على إستعداد لتحمل خساراتها وأضرارها الآنية على أمل أن يتحقق نظاماً سياسياً يؤمن الحريات ويوازن بين الحقوق والواجبات ويحقق العدالة والرفاه، حتى وان كان بمساعدة دولية أو تدخلات خارجية. وبهذا فأنهم يرون الأحداث مستمرة (بدأت ولم تنتهي حتى تتحقق الأحلام ببلد أفضل يحفظ كرامة أبناءه)، لذا فأن ما تحقق من جراءها (الثورة وتظاهراتها الحاشدة) حتى الآن قد جعلهم يشعرون بأنهم أفضل اليوم مما كانوا عليه قبلها، ويأملون بتحقيق المزيد عبر مواصلة الدفاع عنها والكفاح لنصرتها.

2.4.4 التظاهرات والإحتجاجات في العراق: التقييم والتعبئة والمشاركة

لمعرفة مدى إدراك الشباب في العراق لأحداث أو تحركات حاصلة في بلدهم تشبه ما جرى من أحداث في نهاية عام 2010 ومطلع عام 2011 أم لا، تم الإستعلام عن ذلك بسؤال مباشر. وظهر بأن نسبة عالية من المستطلعين أما لا يعرفون بوجود أحداث مماثلة أو يجزمون بعدم حدوثها على نحوٍ مشابه. ولتفسير تلك البيانات الصادمة نشير إلى أن الفئة العمرية الأصغر سناً لم تدرك تلك الأحداث أصلاً، كون أعمار أفرادها حينها (2010-2011) كانت تتراوح بين خمس وعشر سنوات، كما أن الفئة العمرية الوسطى كان أفرادها يافعين وتتراوح أعمارهم بين عشر وأربعة عشر سنة، أي غالباً السياسة لم تكن محط إهتمامهم وإدراكهم عند وقوع تلك الأحداث، فضلاً عن كون مقاربة الأحداث في بعض بلدان المنطقة (تونس، مصر، ليبيا، اليمن) مع أخرى مماثلة في العراق قد تحيل تصورات المستطلعين إلى مقارنة الآليات والشعارات والتدخلات والفئات المشاركة فيها، ناهيك عن المآلات والنتائج التي صارت إليها وأفضت إلى إسقاط النظام وتغييره. ومن ثم وقوع تلك البلدان في موجات عنف وعدم إستقرار. لذا قد تبدوا الصورة مشوشة لديهم عند مقاربة الحالات المماثلة في العراق كون أغلبها مطلبية وهدفها إصلاح النظام. وفيما يتعلق بوصفهم وتقييمهم للأحداث الأخيرة الحاصلة في البلد، نرى من المفيد أن نلقى نظرة فاحصة على المصطلحات التي يُستخدمونها للدلالة على هذه الأحداث، وكذلك التقييمات التي تؤشر نحوها، إذ تم طرح السؤال التالي عليهم: كيف تصف الأحداث الأخيرة في بلدك؟ (حيث كانت الإجابات المتعدّدة على فقرات البدائل ممكنة). وصف غالبية المستطلعين تلك الأحداث بأربعة أوصاف إيجابية تعبر عن تقييمٍ مؤيد لها توزعت بحسب المسميات على النحو الآتي: ثورة، إنتفاضة، حركة شعبية، حِراك. في المقابل منح المستطلعين وبنسبة تجميعية أقل ولكنها كانت اعلى من نصف مجمل المستطلعين سبعة أوصاف سلبية عن تلك الأحداث تعبر عن تقييمٍ معارضٍ لها، توزعت بحسب المسميات على النحو الآتي: فوضى، تدخل أجنبي، تمرد، حرب أهلية، أعمال شغب، عصيان مسلح، إنقلاب.

الشّكل 6
تقييم الأحداث

بالحديث عن أحداث 2010/ 2011، ما هو رأيك في هذه العبارات التالية؟

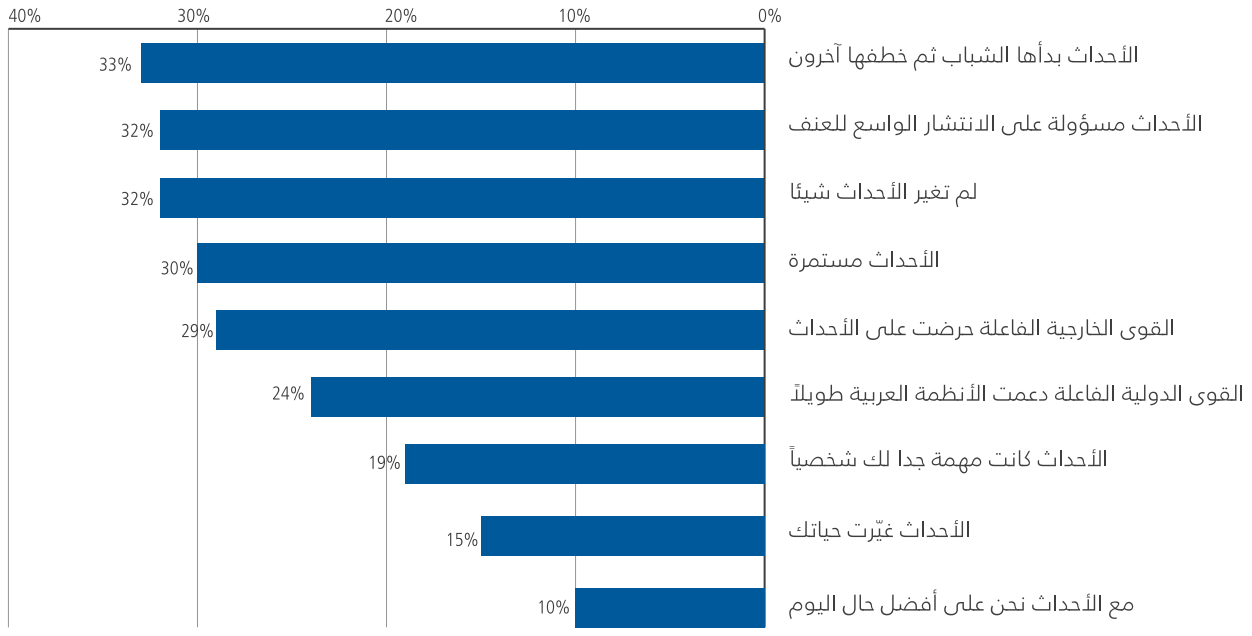

5.4 الشابات والشباب والنشاط في المجال السياسي

مما لا شك فيه، أنّ الاهتمام بالأمور السياسية يختلف عن النشاط في المجال السياسيّ. وفيما يتعلق بالنشاط في المجال السياسي من الضروريّ التمييز أيضاً بين أخذ مختلف وسائل العمل السياسيّ بالاعتبار من جهة، والنشاط الفعليّ من جهة أخرى. لذا ينبغي علينا التمييز بين التفكير والنوايا إزاء النشاطات التي يميل الأفراد لممارستها لو أتيحت لهم فرصة أو إضطروا لفعلها، وبين تلك النشاطات التي مارسوها فعلاً في الواقع. في الفقرة الحالية سيتم تسليط الضوء للتعرف على الخيارات التي يفكر الشباب في اللجوء إليها لإسماع صوتهم وأن يكون لهم تأثيراً سياسياً، حيث ظهر توزيعهم على النحو الآتي:

برزت أولاً المشاركة في الانتخابات والمشاركة في المظاهرات، إذ قال ربع المشاركين تقريبا أنهم »من المحتمل« أو »من المؤكّد« أن يفكّروا في القيام بهذا. تلاهما ميل المستطلعين نحو المشاركة في إضراب. تبعها مقاطعة بضائع معيّنة لأسباب سياسيّة، إذ على الرغم من أنه ليس استثنائياً اعتبار المستطلعين »المقاطعة« نمطاً من العمل السياسيّ، كونها تتطلّب أقل قدراً من الإلتزام من حيث الموارد، فضلاً عن أن مقاطعة البضائع تمثل نمطاً بارزاً من العمل السياسيّ في الشرق الأوسط، حيث شاعت حركة المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات على مدى العقود الماضية، مما يؤشر معرفة المستطلعين الوافية بها وبتأثيرها كنوع من الإحتجاج وإيصال الصوت. ثم جاء أخيرا اختيارات تشجيع زملاء عبر الأنترنت من أجل القيام بعمل ما ثم الإستعلام عن طريق الأنترنت أو تويتر للإنضمام إلى مجموعة قائمة والمشاركة في جمعية ثم توزيع المنشورات وتوقيع عريضة عبر الأنترنت ولكن هذه الخيارات الأخيرة كانت بنسب متدنية. وعندما سُئل المستطلّعون عن الأنشطة السياسيّة التي يميلون للتفكير فيها أيضاً غير ما سبق، كانت التعبئة عبر المشاركة في حزب سياسي منخفضة، في حين ظهر الذكور وذوي التعليم العالي والوضع الاقتصادي الجيد وسكان الحضر والمدن الكبير من المستطلعين أعلى ميلاً للتفكير بتلك النشاطات السياسية لإسماع صوتهم من باقي التصنيفات المقابلة لهم.

وللمقارنة بين الأنشطة السياسيّة التي يميل المستطلعين للتفكير فيها، وبين تلك التي سبق لهم فعلاً أن استخدموها أو شاركوا فيها، أظهر الاستطلاع أن ما يقرب من ثلثي المستطلعين أما عازفين عن الممارسات السياسية أو أن وضعهم الاجتماعي والعائلي لا يسمح لهم بممارستها، فضلاً عن صغر سن البعض منهم، مما لا يتيح لهم فرص المشاركة.

فقد ظهر أن نحو أكثر من نصف مجموع المستطلعين كانوا قد شاركوا في أربعة نشاطات وممارسات سياسية ذات التأثير المباشر (وأغلبها احتجاجي) لاسماع صوتهم والتعبير عن آرائهم، مما يرجح ميول الشباب نحو الممارسات التي تتضمن مواجهة مباشرة لإحداث التغيير، وتفضيلها عن الممارسات غير المباشرة.

هناك ممارسات سياسية أخرى تلي المظاهرات والانتخابات والإضراب والمقاطعة والتي اختارها المشاركون ولكن بنسب أقل وهي: تشجيع زملاء عبر الأنترنت من أجل القيام بعمل ما. تبعه الإستعلام عن طريق الأنترنت أو تويتر للإنضمام إلى مجموعة قائمة والمشاركة في جمعية. ثم توزيع المنشورات وتوقيع عريضة عبر الأنترنت والمشاركة في حزب سياسي. وفقاً للبيانات أعلاه يتضح ضعف ميل الشباب المستطلعين نحو الممارسات السياسية التي تتطلب التنظيم أو التعبئة والتحشيد أو لفت الانتباه، والتي توصف بمجملها بأنها ممارسات غير مباشرة، إذ

الشّكل 7
تسمية الأحداث الأخيرة
كيف تصف الأحداث الأخيرة لبلدك؟

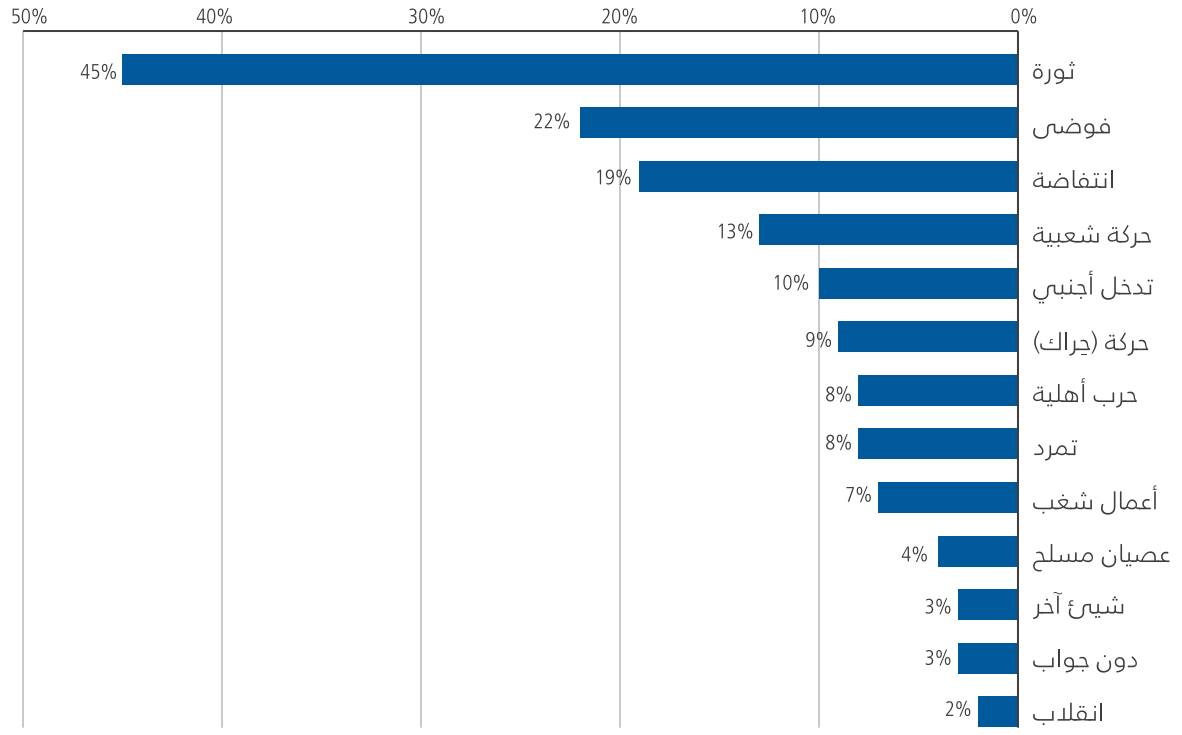

تعد من وجهة نظرهم ضعيفة التأثير ولا تشفع في مجتمع غير مستقر ونظام سياسي يعاني من مشكلات مركبة وفساد كبير، فضلاً عن إتساع نفوذ المجاميع المسلحة فيه. يتطلب ذلك كله ممارسات تتضمن المواجهة المباشرة لحصول تغيير ملموس.

وفي المحصلة أيضاً ظهر الذكور وذوي التعليم العالي والوضع الاقتصادي الجيد وسكان الحضر والمدن الكبير من المستطلعين أعلى إستخداماً وممارسةً لتلك النشاطات السياسية لإسماع صوتهم من باقي التصنيفات المقابلة لهم.

6.4 التعبئة والمشاركة من أجل أهداف اجتماعية أو سياسية

مثّلت احتجاجات عام 2019 ذروة تعبئة الشباب في العراق، حيث اضطلع الشباب بدور هام وأظهروا قدرة على تطوير وتغيير العلاقات بين المجتمع والدولة. ففي أعقاب الاحتجاجات وإستقالة الحكومة وإستبدالها بحكومة معالجة أزمة وتسيير الأعمال، والتي ضمت في كابينتها عناصر تكنوقراط، ومن ثم تغيير قانون الانتخابات ومجلس المفوضية المستقلة للإنتخابات وإستبدالهم بقضاة، فضلاً عن المشاركة في الانتخابات المبكرة التي جرت في عام 2021 أو العزوف عنها. جراء ذلك كله تراجع تركيز الباحثين وصانعي السياسات عن تعبئة الشباب، وانتقل الاهتمام نحو الدور الذي يلعبه الشباب في تغيير سياسات البلد. لكن هذا لا يعني أنَّ الشباب لم يشاركوا أو لم يحتشدوا في حقبة ما بعد الاحتجاج الكبير، من أجل أسباب سياسيّة أو اجتماعيّة أو اقتصادية. على العكس تماماً، تشير النتائج إلى أنّه وعلى الرغم من المشكلات الاجتماعيّة والاقتصاديّة ومخاطر جائحة كورونا المتزايدة في أعقاب ما يسمّى بإنتفاضة تشرين، وقمع الحكومة للناشطين السياسيّين حينها وعلى نحوٍ مفرط، ما يزال عدد كبير من الشباب يواصل التحرّك والتحشيد من أجل التغيير. لكنهم يميلون إلى تحقيق تغيير اجتماعي واقتصادي على نحوٍ أكبر. لذا اتخذت التعبئة صوراً أكثر تنوعاً.

فخلال العامين المنصرمين اللذين أعقبا الاحتجاجات، كانت التعبئة السياسة للشباب عالية جدّاً في أغلب أنحاء البلاد. وظهرت حركات احتجاج كثيرة تطالب بإصلاحات سياسيّة مختلفة وبالحكم الرشيد والمساءلة السياسيّة وتوفير الخدمات وفرص العمل. اختلفت ردود فعل الحكومة الحاليّة إزاءها، وعملت على إمتصاص غضب الناقمين تحت مظلة النظام، وصولاً إلى تنفيذ عددٍ من الإصلاحات السياسيّة. أدّت تدابير الحكومة إلى تراجع النشاط السياسيّ والعودة إلى صور قديمة وجديدة من النشاط المدني. لا يشكل هذا النشاط تهديداً مباشراً أو تحدياً لوجود النظام، لكنّه يركز بالأحرى على التغيير الاجتماعي والسياسي والاقتصادي المتزايد. كما أن التعبئة والمشاركة قد لا تكونان موجهتين بالضّرورة ضدّ النظام بحد ذاته، لكنّهما تشملان العمل الجماعي داخل حدوده أو حتّى بدعم منه.

يعد النشاط المجتمعيّ والجماهيري من الأنماط المهمّة لتعبئة الشباب، إذ يحفز الناشطون الشباب الأشخاص الآخرين الذين يواجهون التحدّيات نفسها على الانضمام إلى قضيّتهم والمساهمة في حلها أو التخفيف منها. كما تشمل الأنماط الجديدة للتعبئة والمشاركة تأسيس مبادرات شبابيّة وشراكات أعمال الريادة. يشارك من خلالها العديد من الشباب عبر دورات تدريبيّة لأولئك الذين يفتقرون إلى القدرة في الحصول على

الشّكل 8
الأنشطة السياسية التي استخدمها المستطلعون أو شاركوا فيها
أي من هذه الخيارات قمت باستخدامها أو شاركت فيها؟

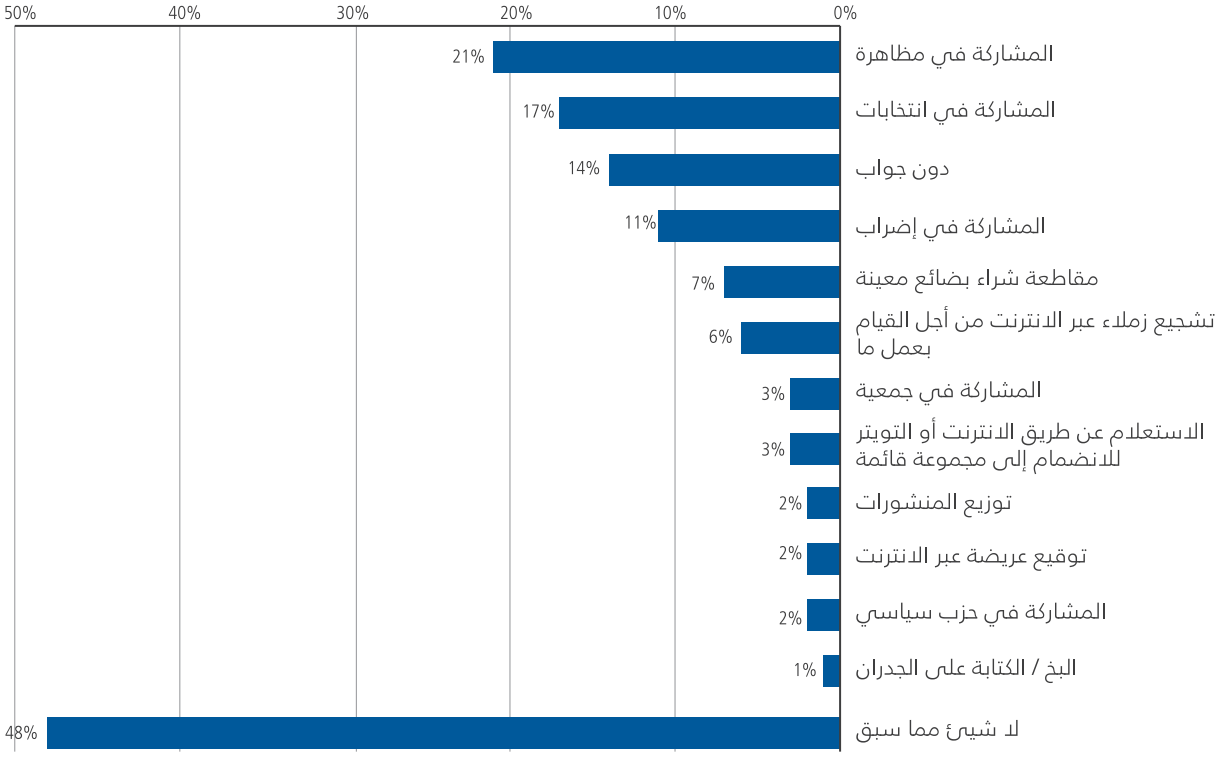

تعليم جيّد أو فرص في مجال العمل. كما يمكن تحفيز التعبئة عن طريق الإعلام بنحوٍ سلس، مما يخدم في تعضيد التعاون والتضامن الاجتماعي. يمثل الانضمام لمنظمات المجتمع المدني بديلاً فاعلاً أمام الشباب للتعبير عن اهتماماتهم وتنفيذ النشاطات التي يؤيدونها، إذ أتاحت التحولات نحو الديمقراطية فرصاً وافرة للإنخراط والمشاركة فيها.

تؤكد بيانات الدراسة الحالية مشهد التعبئة المنتشر والواسع النطاق وتحدّده على نحو أكثر دقة، لأنها توفر الأسس لفهم عميق للناشطين الشباب. يمكننا وصف الناشطين الشباب بأنهم أولئك المستعدّون للانخراط في العمل السياسي والاجتماعي، وممارسة تأثير سياسيّ أو مدني لمصلحة أشخاص آخرين. وهم أولئك الذين يسجّلون مستويات مشاركة سياسيّة أو مدنيّة أعلى من البقيّة.

تخبرنا نسب من أجابوا بـ»غالباً أشارك« من أجل تحقيق أهداف اجتماعية أو سياسية وأكرس نفسي لمصلحة أشخاص آخرين يحتاجون المساعدة، بأن المجالات التي تجذبهم لتحقيق ذلك جاءت على النحو الآتي: 35 بالمائة من الشباب الناشطين صرّحوا بأنهم »كثيرا« ما يساعدون الفقراء والضعفاء، ففي بلدٍ مثل العراق يشهد تفاوتاً في توزيع الدخل والثروة وارتفاع نسب البطالة وقلة فرص العمل يتسع حجم الشرائح التي تعاني من الفقر، وبهذا أبدا المستطلعون ميلاً أعلى لتحقيق أهداف تخدم تلك الشرائح. تلى ذلك الناشطون في مجال ضمان الأمن والنظام في منطقة إقامتهم بنسبة 27 بالمائة. فيما تبعهم المهتمون بالمشاركة لتحسين العيش المشترك في منطقة إقامتهم وبنسبة 26 بالمائة، وهنا أظهر الشباب شعوراً بالمسؤولية الاجتماعية إزاء مناطق سكناهم لجعلها على نحوٍ أفضل.

وعلى نحوٍ متصل، أظهرت الإجابات الاهتمام الكبير لدى الشباب بالمشاركة في مشاريع وأنشطة لمصلحة الشباب وكبار السن ومن أجل المحافظة على ثقافة وتقاليد البلد بنسب عالية. كما صرح المستطلعون باهتمامهم للمشاركة بأنشطة تدعم البيئة (23 بالمائة) وإحداث تغيرات اجتماعية وسياسية في البلد، ومن أجل حقوق متساوية للرجال والنساء. وتحسين وضع الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة، ولتنظيم أنشطة مفيدة للشباب (21 بالمائة). تلى ذلك اهتمام المستطلعين بالمشاركة في برامج من أجل قناعاتهم الدينية، ومن أجل من يأتون من مناطق النزاعات المسلحة (النازحين) ثم جاء الاهتمام بالمساعدة على دمج المهاجرين واللاجئين، ومن أجل أهداف مجموعات أخرى (18 بالمائة). تُظهر هذه النتائج بصورة واضحة أن الشباب الناشطين أكثر اهتماماً بالتغيير الاجتماعيّ والاقتصاديّ منهم بالتغيير السياسيّ. كما أنهم يعكسون الخطاب الاجتماعي والديني العام في بلدهم، إذ يميل صانعو القرار والقادة الدينيون إلى تخصيص الأولويّة للإصلاحات الاقتصاديّة والاجتماعيّة مقاربةً مع الإصلاحات السياسيّة. كما يشكل الاهتمام المتدني بالمساواة بين الجنسين انعكاساً لطبيعة ثقافة المجتمعات العربيّة البطريركية التي يعيش في كنفها هؤلاء الناشطون الشباب. وقد يتوقّع المرء أن تكون درجة الاهتمام بقضايا اللاجئين أعلى في أوساط الناشطين الشباب مقارنة بالبقيّة، خصوصاً في العراق الذي يستضيف عدداً كبيراً من اللاجئين السوريّين والفلسطينيين، فضلاً عن النازحين داخليا (في العراق)، لكن الوضع لم يكن على هذا النحو نتيجة لتعدد وتزاحم الفئات الهشة والمجالات التي تتطلب تدخلاً للمساعدة.

ولمعرفة أين وكيف يشارك المستطلعون من أجل أهداف اجتماعية أو سياسية تكرس لمصلحة أشخاص آخرين. أظهرت نتائج المسح أن مجموعة كبيرة منهم (45 بالمائة) يؤدون ذلك بشكلٍ فردي مما يؤشر ضعف العمل الجماعي والمنظم في صفوفهم وميلهم نحو المبادرات الفردية. تبعهم المشاركون بشكلٍ عفوي وغير مؤسسي (36 بالمائة)، أي أن المهيمن على مشاركات الناشطين الشباب ردات الفعل غير المنتظمة وغير الممأسسة. في حين كانت المشاركة المدنيّة عبر مجموعات في المدرسة أو الجامعة (30 بالمائة) أو عبر جمعيّة (20 بالمائة) أقلّ شيوعا.

وعلى المنوال ذاته، صرحت نسب قليلة بأنهم يفضلون تأديتها من خلال عضويتهم في منظمة شبابية (17 بالمائة) أو مؤسسة دينية (13 بالمائة) أو من خلال نقابة عمالية (8 بالمائة) أو من خلال العضوية في حزب سياسي (6 بالمائة)، مما يؤكد إنخفاض مستوى ثقة الشباب بتلك المؤسسات وطبيعة وجدوى نشاطاتها. من الجدير بالذكر أنه تتوافق تلك المؤشرات وتدعم ما سبقها من بيانات، كون غالبية المستطلعين من غير العاملين، فضلاً عن نفورهم وعدم ثقتهم بالسياسيين، ناهيك عن عدم قناعتهم بجدوى الأحزاب الحالية في تحقيق تلك الأهداف.

الشّكل 9
المشاركة المدنية للشباب في العراق

هل تشارك من أجل أهداف اجتماعية أو سياسية أم تكرس نفسك لمصلحة أشخاص آخرين فيما يخص المجالات التالية؟

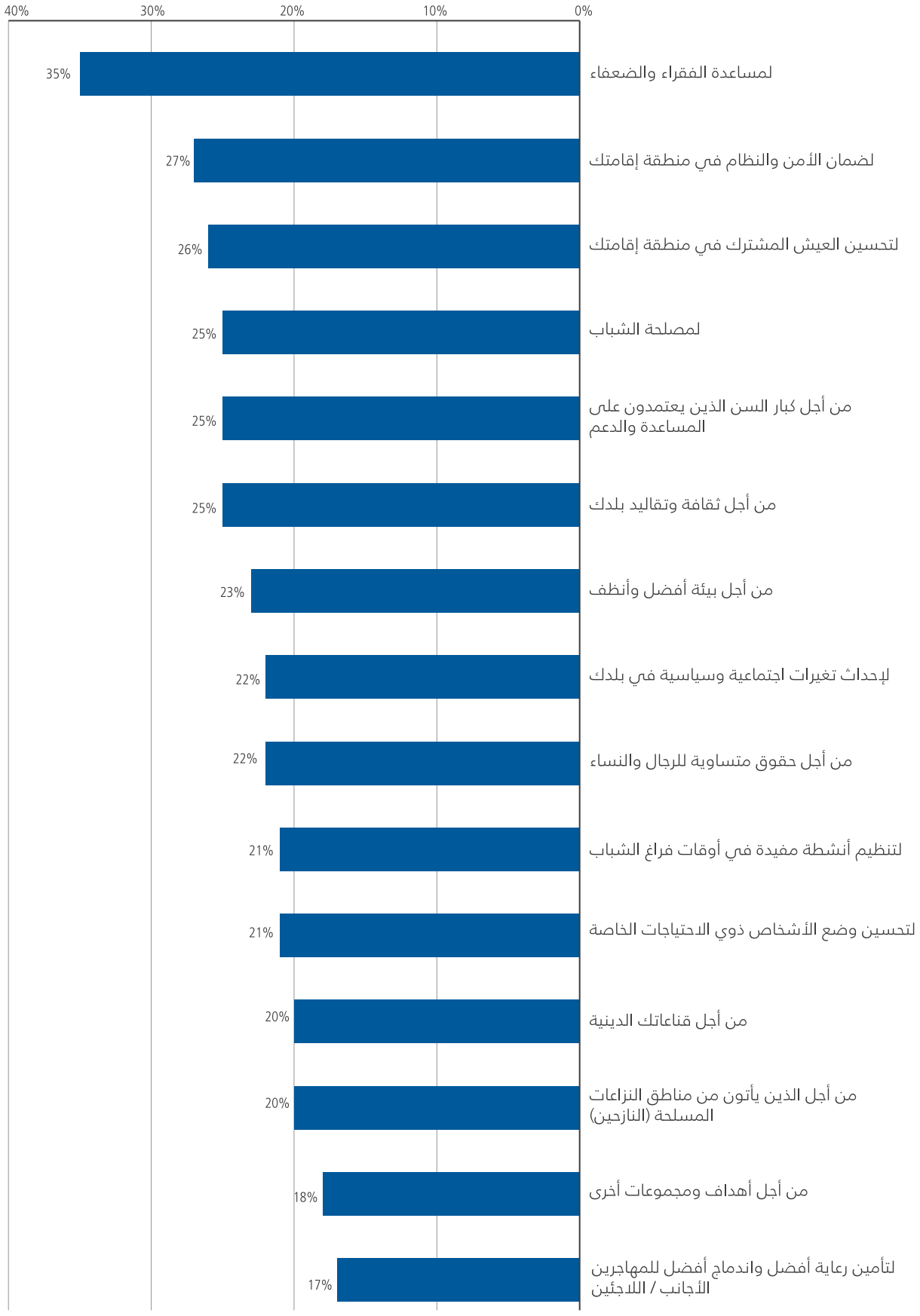

5

الشابات والشباب وجائحة كورونا والحجر الصحي: مستقبل ضبابي

يتركز مفهوم الأمن من منظور التنمية البشرية على أمن البقاء على قيد الحياة، وتجاوز أخطار الأوبئة والأمراض والقمع السياسي أو الأحداث التي تصدع الحياة اليومية وتؤدي الى الإضطرابات والتشوش والتشرد. فالأمن الإنساني يوفر قاعدة أساسية للتنمية والحكم الفعال. وتوفيرها يمثل أهم الوظائف الأساسية للدولة، ويتضمن الحماية من التعسف المنهجي الذي يستهدف حقوق الإنسان والتهديدات الجسدية، والمخاطر الإقتصادية والإجتماعية والبيئية البالغة. فالأمن الإنساني يعني حماية الحريات الحيوية وحماية الناس من الأوضاع والأخطار الحرجة والعامة، وبناء قواهم وطموحاتهم، عبر خلق النظم السياسية والإجتماعية والبيئية والعسكرية والثقافية التي تمنحهم مقومات بناء بقائهم ومعيشتهم بكرامة. كما أنه يعنى بالفرد والمجتمع، ولا يقتصر على حماية الناس فحسب، وإنما يشمل ايضاً تمكينهم على نحو يستطيعون معه حماية أنفسهم. لذا فإنه يتضمن الحقوق الإنسانية للأفراد، ويشمل أبعاداً عديدة متصلة بالبيئة والغذاء والتنمية. فالأمن مفهوم شامل وإن تمحور حول الإنسان، ويتجاوز النظرة التقليدية التي تقتصر على عملية الدفاع عن الأرض والقوة العسكرية. وبهذا المعنى فهو أمن لكل فئات المجتمع، ولا يستثني فئة من دون أخرى، إلا أن أثر فقدان الأمن وتداعياته تطال تلك الفئات على نحو متفاوت، ففي تلك الأوقات تكون النساء والأطفال والفتية أكثر عرضة لتهديد غياب الأمن، ويتأثرون بشكل أكبر من غيرهم. وربما أفضل صورة لتجلياته تتمثل في تحديات ومخاطر جائحة كورونا بوصفها واحدة من التحديات الجسيمة التي واجهتها المنطقة والعالم.

يهدف الجزء البحثي الحالي من المشروع إلى فهم أفضل لشباب العراق - وجهات نظرهم وتطلعاتهم - من خلال وضعهم في سياق جائحة كورونا، فضلاً عن فهم الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الذي عاشوا في كنفه في الخمس سنوات الماضية. كما سنحاول فهم قلقهم وتفاؤلهم إزاء المستقبل، والتغيرات المحتملة في حياتهم جراء الجائحة ومشاعرهم نحوها، وكيف تعاملت الحكومة معها مقارنة بالدولة الأخرى.

1.5 الإستعدادات والمواجهة

أظهر الاستطلاع أن خمس المستطلعين تقريبا كان وضعهم المالي يسمح بالإدخار وتوفير المال، كما أكد نحو نصف المستطلعين منهم بأنهم يدخرون المال للشعور بالإطمئنان في حالات الحاجة، أي أكثر من نصف المستطلعين يميلون للإدخار تحسباً لمواجهة التحديات والتقلبات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وحتى البيئية والصحية، والتي غالباً ما يتوقع حدوثها في مجتمع مأزوم وغير مستقر كما في العراق. يعبر ذلك ويؤشر قلقهم إزاء وضعهم الراهن ومستقبلهم المنظور. ينبغي أخذ ذلك في الحسبان عند تصور وضع الشباب خلال مدة الحجر الصحي ومواجهة الجائحة. كما ظهر في البيانات الناتجة عن الاستطلاع أن معظم الشباب لا تتاح أمامهم فرص لإدخار الأموال. أي ان غالبيتهم واجهوا الجائحة وتداعياتها بإفتقار وهشاشة.

وعلى صعيد الفروق في الخصائص الاجتماعية بين المستطلعين، ظهرت الإناث أعلى ميلاً للإدخار لغرض الإطمئنان في الحالات الحرجة كونهن يشعرن بمسؤولية أكبر إزاء أسرهن. والفئات العمرية الأصغر سناً والمتوسطة أعلى ميلاً نحو ذلك كونهم مازالوا من دون مدخرات أو مداخيل ثابته تؤمن مستقبلهم المنظور. فيما بدا ذوي التعليم العالي أعلى ميلاً وتحسباً للحالات الحرجة والأزمات. في حين مثل ذلك هاجساً كبيراً لدى من يعيشون وضعاً اقتصادياً سيئاً إلى حدٍ ما بسبب ما يعانونه من الفقر والحاجة المتكررة. وعلى صعيد بيئة الإقامة فسكان الحضر والمدن الكبيرة أعلى ميلاً نحو ذلك من سكان الريف لارتفاع متطلبات ومتغيرات حياتهم مقارنة بسكان الريف.

وأظهر الاستطلاع أن الشباب منحوا معدلات أهمية عالية جداً للعديد من القضايا ذات الطابع الشخصي والمتعلقة بنحوٍ كبير في آمال وطموحات الأفراد عن أنفسهم وعن طبيعة الحياة التي يريدون ويقررون أن يحيوها. وبقدر تعلق الأمر بالجائحة والحياة الصحية، فقد منحها الشباب معدل أهمية مرتفع أيضاً بالقياس إلى ما سبقها من المجالات. تؤكد هذه المعطيات وتعزز مؤشرات إهتمام الشباب ووعيهم بالقضايا الصحية أو أهمية أن يكونوا على وعي بها لتجنبها، كما تؤشر أيضاً تأثيرات مواجهة الأوبئة والمخاطر الصحية وما تتركه من خبرات جراء ذلك، وتشي بزيادة الإدراك نحوها، إذ كان الحال وقت تنفيذ المسح، مضي نحوعامين تقريباً على مواجهة جائحة كورونا.

وعلى صعيد آخر، وفي السياق ذاته، ترجح مسببات القلق والخوف من وقوع حوادث ما إلى اضطرار الناس للتحسب نحوها تفادياً للضرر والأذى. في هذا المنحى تفصح بيانات مسح الشباب الحالية عن قلق المستطلعين في المستقبل المنظور بشأن أن يصابوا بمرض شديد، وبأعلى ثاني نسبة لمجمل القضايا الأخرى التي تثير قلقهم، إذ ورد أولاً قلقهم من زيادة إنعدام الأمان، وهذا ربما يكون على إرتباط وثيق بتداعيات الحجر الصحي وتفشي الوباء.

الشّكل 10
الغرض من توفير المال

ماهو الغرض من توفيرك للمال في المقام الأول؟

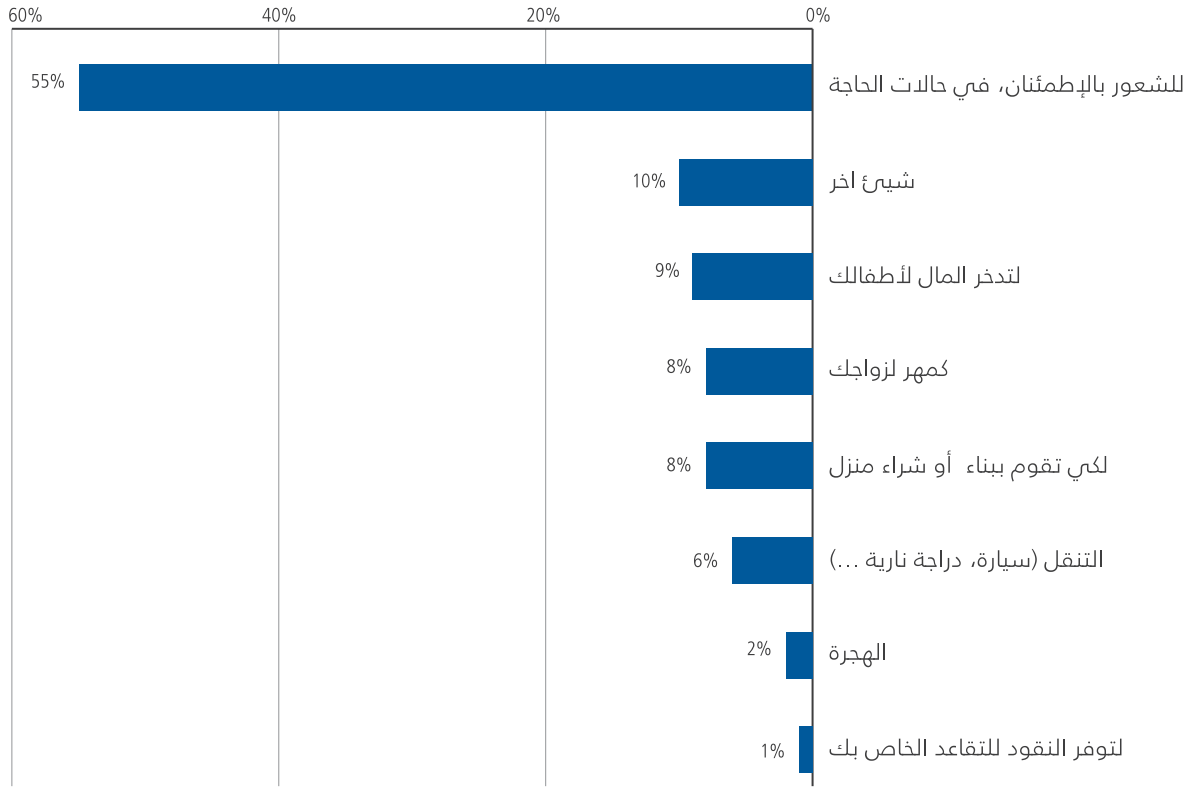

2.5 كورونا والتغيرات المحتملة

يواجه الشباب في العادة الكثير من التغيرات في حياتهم، منها ماهو إيجابي ويعززهم نحو الأفضل، وآخر سلبي يفرض عليهم المزيد من التكاليف ويضاعف عليهم الآثار. وللكشف عن الوقائع والأحداث السلبية التي طرأت على حياة المستطلعين في السنوات الخمس الأخيرة، ومعرفة تراتب أهميتها لديهم جرى طرح الإستفهام الحالي بوصفه أداة للكشف. وصف الشباب التهديدات الناجمة عن جائحة كورونا بأنها أبرز وأهم التغيرات التي واجهوها مؤخراً (73 بالمائة »بشكل مهم« أو »مهمّ جدّا«)، مما يؤشر أن غالبية المستطلعين لم يواجهوا خطراً محدقاً وفتاكاً كما في جائحة كورونا. تبعها نقص الغذاء (67 بالمائة) نتيجة لتطبيق الحجر الصحي وتعطيل أغلب المصالح وضعف تداول السلع والخدمات وتوقف المعامل والمصانع. ثم التغيرات داخل العائلة (64 بالمائة) والمتمثلة في البقاء في المنزل إضطراراً والمشاركة في تنفيذ النشاطات والاعمال الروتينية بين الذكور والإناث والآباء والأبناء مما أفضى إلى سلوكيات بعضها قائم على التعاون والتقارب، وآخر محفز للنفور وتفاقم المشكلات والعنف.

تبع ذلك عدم الاستقرار الاجتماعي (58 بالمائة)، نتيجة لضبابية المواقف وغياب اليقين إزداد التوتر بين الناس. مائله تزايد العنف بالنسبة ذاتها، بسبب أزدياد الفقر والحاجة والاحباط والخوف. في حين ظهر سادساً فقدان وظائف العمل، نتيجة للحجر الصحي ومنع التجوال والاختلاط تفاقمت نسب البطالة وفقدان العمل. تبع ذلك التغير المناخي (50 بالمائة)، إذ ربط بعض المستطلعين بين إنتشار الأوبئة والأمراض والتغير المناخي والتلوث البيئي الحاصل في المنطقة. وجاءت أخيراً الإنقسامات الطائفية، وزيادة العزلة عن العالم الخارجي (46 بالمائة لكلّ منها)، فبسبب الحجر منع السفر والحركة والانتقال وبقاء الناس في مناطقهم ومحلاتهم مما ضاعف من العزلة عن العالم الخارجي.

ينبغي الآخذ في الحسبان بأن من بين تسعة وقائع وأحداث سلبية تعرض لها الشباب، كان من بينها ستة وقائع مرتبطة بالجائحة على نحوٍ مباشر، أو زاد تأثيرها وصيرورتها من جراءها، من قبيل نقص الغذاء وفقدان الوظائف والتغيرات داخل العائلة وعدم الاستقرار الاجتماعي وتزايد العنف والعزلة عن العالم الخارجي، ناهيك عن التهديدات الناجمة عن جائحة كورونا. مما يؤشر حدوث تغيرات سلبية متعددة ومركبة عصفت بحياة الشباب على نحوٍ خطير في السنوات الخمس الأخيرة.

ولفهم أدق للتغيرات المحتملة جراء الجائحة في حياة المستطلعين، تم سؤالهم عن الوقت الذي يقضونه لكل نشاط خلال اليوم الواحد وعلى مدار الـ 24 ساعة، ولزمنين مختلفين، الأول يتمثل في بداية العام 2020، والثاني يمثله وقت تنفيذ المسح، أي خلال شهر أيلول من العام 2021. حيث إنشطرت تصنيفات بدائل الإجابة لرصد أربعة متغيرات، وهي: النوم، العمل »من داخل المنزل وخارجه«، الدراسة »من داخل المنزل وخارجه«، أنشطة أخرى »من داخل المنزل وخارجه«. ومع ذلك، أظهرت نتائج المسح أن متوسّط الوقت الذي يتمّ تمضيته على كلّ من هذه الأنشطة متشابه كثيرا في نقطتي الوقت ولدى مختلف فئات الشباب، مما يشير إلى أنّ الوضع قد أصبح بالفعل طبيعيّا وأن معظم قيود الجائحة قد تمّ رفعها بحلول أيلول 2021.

3.5 الجائحة والنظرة إلى المستقبل: تفاؤل وتشاؤم الشابات والشباب

تُنبأ نتائج المسح فيما يتعلق بنظرة الشباب للمستقبل وعلى صعيد حياتهم الشخصية، بأن نسبة جيدة من مجموع المستطلعين أكدوا بأنهم يميلون إلى التفاؤل حيال ذلك. وعلى صعيد مستقبل مجتمعهم أفادت نسبة جيدة من مجموع المستطلعين بأنهم يميلون إلى التفاؤل حيال ذلك. وبهذا يكون المستطلعين أكثر تفاؤلاً على المستوى الشخصي منهم إلى النظرة للمجتمع وبفارق ثمان درجات. ومما يفسر ذلك أنهم يملكون تغيير واقعهم الشخصي بنسبة أكبر من الواقع الاجتماعي والتأثير فيه، كما أنهم يرون مشكلاتهم الشخصية قابلة للحل على نحوٍ أكبر من مشكلات المجتمع المعقدة والمركبة والتي تحتاج إلى عمل مؤسسي منظم ومخطط، تقع مسؤولياته على الحكومة ومؤسساتها والأحزاب المشاركة في السلطة والنخب الأكاديمية والباحثين والخبراء، مع مشاركة شرائح المجتمع المختلفة وليس العكس. أما بواعث التفاؤل التي بدت مرتفعة نوعاً ما فهي تعود لطبيعة الشباب الحالمين بغدٍ أفضل، أكثر من كونها نظرة قائمة على معطيات واقعية.

4.5 تقييم الواقع الصحي والاجتماعي والحكومي: الآثار والتداعيات

تعطي خارطة إنتشار الجائحة وسعتها صورة وافية لفهم الواقع الصحي والاجتماعي والحكومي جرائها في العراق، بل وتخبر بحجم التحديات وخطورتها. لذا بات التعرف على مستوى الإصابات بين المستطلعين وذويهم وأصدقائهم، ضرورة ملّحة لإدارك خطورة الوضع الصحي، ناهيك عن معرفة نوع حالات الإصابة بالفايروس إن كانت (خفيفة، شديدة، مميتة).

كشفت نتائج المسح وعلى صعيد الإصابة الشخصية للمستطلعين إن أكثر من نصفهم تعرضوا للإصابة بفيروس كورونا بحلول وقت إجراء المسح. منهم كانت إصاباتهم تمثل حالات خفيفة، كون الجهاز المناعي والقدرة على مقاومة الأمراض تكون مرتفعة لدى الشباب. قابلهم عدد اقل تعرضوا للإصابة بحالات مميتة، وربما جل هؤلاء كانت لديهم أمراض أخرى ضاعفت الجائحة من خطورتها، أو لم يكن لديهم المال الكافي لتلقي العلاج، أو نتيجة لضعف الرعاية الصحية والطبية التي تلقوها خلال الإصابة. من جانب آخر، فأن مرور الأفراد بتجربة مرضية خطيرة كما هو الحال مع الجائحة يفضي بالضرورة إلى تغيير في تصورات الأفراد إزاء الصحة والمرض، إذ أن الطبيعي والمعتاد أن يكون عمر الشباب مفعم بالطاقة والصحة والحيوية والنشاط، مما يجعل الاهتمام بالغذاء الصحي والرياضة والتعفير والتطهير أمراً ثانوياً لدى أغلبهم، في حين أثرت الجائحة في نمط الغذاء والوعي الصحي وإدارك أهمية الحمية والاستباق في مواجهة المخاطر الناجمة عن الملوثات والفيروسات، وجعلت الوعي الصحي للشباب في قضايا المرض والصحة على نحوٍ أفضل.

فيما ظهرت الإصابات على مستوى أحد أفراد العائلة أو الأصدقاء مرتفعة نوعاً ما وتوضح هذه المعطيات حجم الإصابات وسرعة إنتشار الجائحة وتأثيرها على المجتمع، ومما يؤشر أيضاً مدى الضغوطات النفسية والاجتماعية والاقتصادية والصحية التي تعرض لها المستطلعون وذويهم ومعارفهم. كما تكشف عن حجم التحديات التي واجهها القطاع الصحي والحكومة ومؤسساتها في العراق جراء الجائحة.

الشّكل 11
نظرة المستطلعين نحو مستقبل مجتمعهم

فيما يتعلق بمستقبل مجتمعنا؟ تنظر إليه...

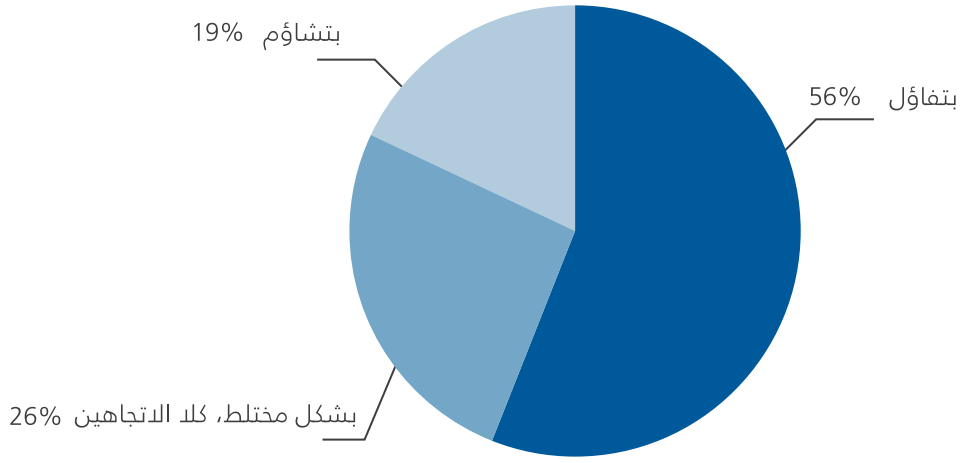

من جانب آخر، وفي السياق ذاته، فإن إنتشار الإصابة بالفيروس بين المستطلعين وأهليهم ومعارفهم وأصدقائهم، فضلاً عن شرائح واسعة من المجتمع، وخضوعهم لإجراءات الحجر المنزلي وتدهور الاوضاع الاقتصادية، تركت العديد من الآثار وولدت المزيد من الضغوط على الأفراد بشكلٍ عام، وعلى الشباب المستطلعين بنحوٍ أخص. حيث أظهرت بيانات المسح تعرض المستطلعين للعديد من المشاعر السلبية جراء الجائحة، والتي لطالما صاحبتهم في الأشهر الأخيرة من تنفيذ المسح.

وقد أظهرت الأرقام أن مابين ربع إلى ما يزيد قليلاً عن نصف المستطلعين تعرضوا لضغوط نفسية وشعروا بمشاعر سلبية أثرت في مجريات حياتهم وطبيعة تفاعلهم اليومي جراء الجائحة، وبالتالي أثرت بشكل وبآخر في تقييمهم لواقعهم ومستقبلهم، ومدى رضاهم عن ذاتهم وظروفهم الاجتماعية والصحية، فضلاً عن مستوى رضاهم عن الحكومة ومؤسساتها في التعامل الجائحة ومخاطرها وآثارها.

وعلى نحوٍ عام، تعرضن الإناث لتلك المشاعر بنحوٍ أكبر من الذكور، بسبب زيادة أعمالهن داخل المنزل وتقييد حركتهن من قبل أسرهن. وذوي الفئة العمرية الدنيا والوسطى بمقدار أكبر، لإنخفاض نشاطاتهم عن المعدل المعتاد. وذوي التعليم المتوسط والعالي بشكلٍ أكبر من ذوي التعليم المنخفض كونهم في الغالب مهنمكون بالعمل والدراسة التي حرموا منها. كما أن ذوي الوضع الاقتصادي الشخصي السيء نوعاً ما أكثر تأثراً بها جراء إزدياد الفقر والحاجة. وساكني المدن الكبيرة والريف أكثر تأثراً من الحضر نتيجة لصغر المساكن وكثرة المغريات والخدمات التي حرموا منها.

من ناحية الأثر السلبي للجائحة، أكد عدد كبير من المستطلعين (77 بالمائة) أن بسبب الجائحة تقلصت فرص حياتهم المهنية بشكلٍ كبير نتيجة لتوقف الأعمال وارتفاع نسب البطالة. وأفصح معظمهم (76 بالمائة) بأن الجائحة أجبرتهم على تغيير أولوياتهم الإستهلاكية بشكلٍ أساسي، فمثلاً أضطروا لتناول الغذاء الصحي الذي يسهم في تقوية جهاز المناعة ومقاومة المرض. كذلك صرح المستطلعون وبالنسبة ذاتها لتقييم نظام الصحة العامة في البلد بأنه عديم الفائدة فحجم الاصابات أكبر من القدرة الاستيعابية للمستشفيات والملاكات الطبية. فيما أشار أكثر من نصف المستطلعين بأنه بسبب الجائحة تراجعت قوة العلاقات الجيدة بين أصداقائهم بشكلٍ ملحوظ نتيجة للحجر ومنع الاختلاط. وصرح عدد كبير بأن ديونهم الشخصية تزايدت بسبب الجائحة نتيجة لنفاذ المدخرات وفقدان العمل وزيادة المتطلبات الطبية والمعيشية. هذه المؤشرات تفسر إلى حدٍ ما وصف بعض المستطلعين بأنهم يرون أنفسهم بالغين وليسوا شباباً، أي انهم تحملوا المسؤولية بعمر مبكر وأطلعوا على تجارب جعلت منهم يبدون أكبر سناً مما هم عليه فعلاً. كما تؤكد البيانات آنفاً نوع وكم الصعوبات والتحديات التي واجهها الشباب جراء الجائحة والتغيرات الحاصلة في وضعهم المعيشي والاقتصادي، فضلاً عن سلوكهم الاستهلاكي.

الشّكل 12
الحياة العاطفيّة خلال الجائحة

ذكر العديد من الشباب المشاعر التالية فيما يتعلق بهذه الجائحة. كم مرة شعرت بهذه المشاعر في الأشهر الأخيرة؟

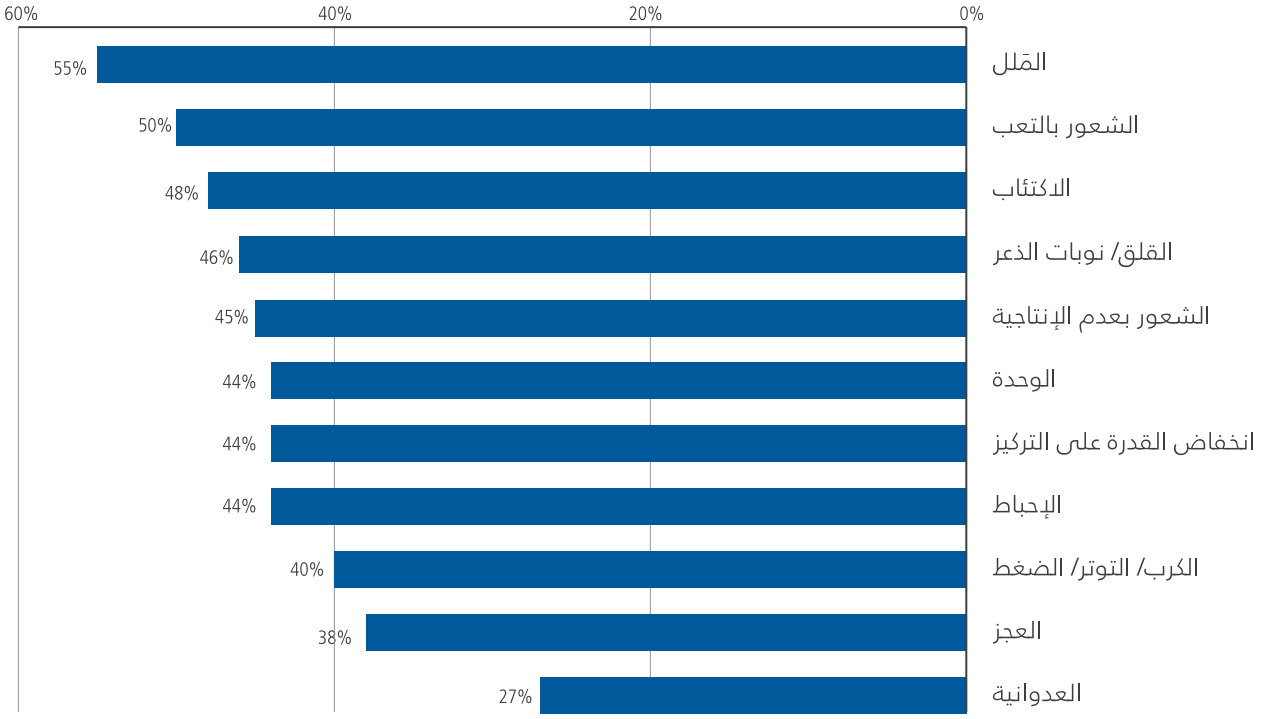

في المقابل، وعلى الصعيد الإيجابي، أفاد معظم المستطلعين (76 بالمائة) بأن أفراد عوائلهم أقتربوا من بعضهم البعض بنحوٍ أكبر بسبب الجائحة نتيجة للبقاء وقت أطول داخل المنزل. فيما أشار اكثر من نصفهم بأن أصبح لديهم مشاعر إيجابية بشأن التطعيم ضد كوفيد-19 لزيادة الوعي الصحي والطبي وللوقاية من المرض. وبالنسبة ذاتها أكد المستطلعين بأن التضامن الاجتماعي في مجتمعهم أصبح أقوى بسبب الجائحة بسبب زيادة التبرعات والأعمال التطوعية الخيرية لدعم الفقراء والمحتاجين. فيما وصفو شواغل الشباب بأنها أخذت في الحسبان بطريقة مناسبة طوال فترة الجائحة (63 بالمائة). وأخيراً يرى وبنحوٍ مفاجيء عدد ملحوظ من الشباب المستطلعين (62 بالمائة) إن أزمة كوفيد-19 تقدم فرصة ممتازة لتغيير مجتمعهم نحو الأفضل. نلحظ بالمجمل أن المستطلعين منحوا تأييداً مرتفعاً لأغلب التغيرات الحاصلة في واقعهم الاجتماعي والاقتصادي والصحي. وسواء ما كان منها إيجابياً أو سلبياً، إذ تراوحت بين أقل من الثلثين بقليل إلى ما يزيد قليلاً عن ثلاثة أرباع المستطلعين. كما نلحظ أيضاً تلمس الشباب للتحديات والمخاطر الصحية وظروف الجائحة بأنها قد تسهم في خدمة الشأن الداخلي في العراق، ليكون على نحوٍ أفضل. ربما يتضمن ذلك تلميحاً يتعلق بفتور الإحتدام السياسي خلال مدة الجائحة، فضلاً عن إنخفاض معدلات العنف والحرب مع الإرهاب، ناهيك عن تزايد التضامن الاجتماعي والتعاون العائلي، مما جعلهم ينظرون إلى جانب من التغيرات الحاصلة جراء الجائحة بنحوٍ متفائل.

كما قيَّم المستطلعون الشباب أداء الحكومة ومؤسساتها إزاء التصدي والتعامل مع جائحة كورونا والعمل على التخفيف من آثارها وتداعياتها وفقاً لتدرج متباين. فمن جانب منحها نحو 22 بالمائة المستطلعين تقييماً إيجابياً، في حين أعرب 33 بالمائة عن مشاعر محايدة أو مختلطة. يفسر هذا التوجه لدى المستطلعين تأييدهم لبعض الاجراءات التي إتخذتها الحكومة ومؤسساتها لمواجهة مخاطر الجائحة من قبيل (خفض نسبة عدد العاملين في القطاع العام إلى 25 بالمائة مع إستمرار منحهم الأجور كاملة لحين تخطي الجائحة، والتغلب على الازمة الاقتصادية وإنخفاض أسعار النفط وتأمين الرواتب رغم ذلك، وتوزيع مواد غائية وطبية على العوائل الفقيرة وذوي الدخل المحدود، ومنع الاختلاط والتجمهر والميل نحو الحجر الصحي وبإجراءات مشددة.. ألخ).

في المقابل وعلى نحوٍ معاكس تماماً يرى 43 بالمائة من مجموع المستطلعين بأن تعامل الحكومة مع الأزمة كان سلبياً مقارنة بالدول الأخرى. يفسر هذا التوجه لدى المستطلعين عدم تأييدهم لبعض الاجراءات التي إتخذتها الحكومة ومؤسساتها لمواجهة مخاطر الجائحة من قبيل (توفير عددٍ محدودٍ من اللقاح والتطعيم ضد الفيروس، توفير عددٍ محدودٍ من المسحات وفي مراكز ومستشفيات معينة بينها تباعد مكاني، لم يشمل توزيع المنح والمساعدات جميع العوائل، عدم قدرة المستشفيات على إستقبال الأعداد الكبيرة للمصابين.. ألخ).

وعلى نحوٍ متصل، عبر المستطلعون الشباب عن أهمية المشكلات والأزمات الموضحة أوصافها في أدناه، والتي تكشف بمنحى من النواحي مدى تعرضهم الشخصي لها في حياتهم اليومية.

كان لجائحة كورونا أثر كبير على المجتمع العراقي. فعلى الرغم من إتخاذ السلطات في العراق عدة إجراءات هامة بهدف المساعدة في إحتواء تفشي الجائحة، إلا أن تلك القيود والآثار الاجتماعية والاقتصادية الواسعة والمتشعبة للجائحة قد زادت من حدة المصاعب التي عاناها المجتمع العراقي. كما أن الفئات الهشة كالعوائل الفقيرة والنازحين وذوي الإحتياجات الخاصة والعاطلين عن العمل، أصبحوا معرضين على نحوٍ أكبر لخطر العوز، نتيجة للإحتجاز أو فقدان المعيل أو خسارة سبل العيش في وقت سابق. لذا فأن تلك الفئات شعرت بتداعيات فيروس كورونا بشكل أكثر حدة مقارنة بغيرها من فئات المجتمع.

ولكن، يبيّن لنا الشكل 13 بوضوح أنه إضافة إلى الأثر الكبير الذي كان للجائحة، عانى الشباب من أزمات أخرى أيضا. وعندما اقترنت كلّ الأزمات ببعضها البعض، كان من الصعب على الشباب التعامل مع أثرها المتراكم في حياتهم اليوميّة.

الشّكل 13
أهميّة المشاكل/ الأزمات في الحياة اليوميّة

ما مدى أهمية المشاكل/ الأزمات التالية في حياتك اليومية؟ يُرجى ذكر كيفية إدراكك لتعرّضك الشخصي لهذه القضايا.

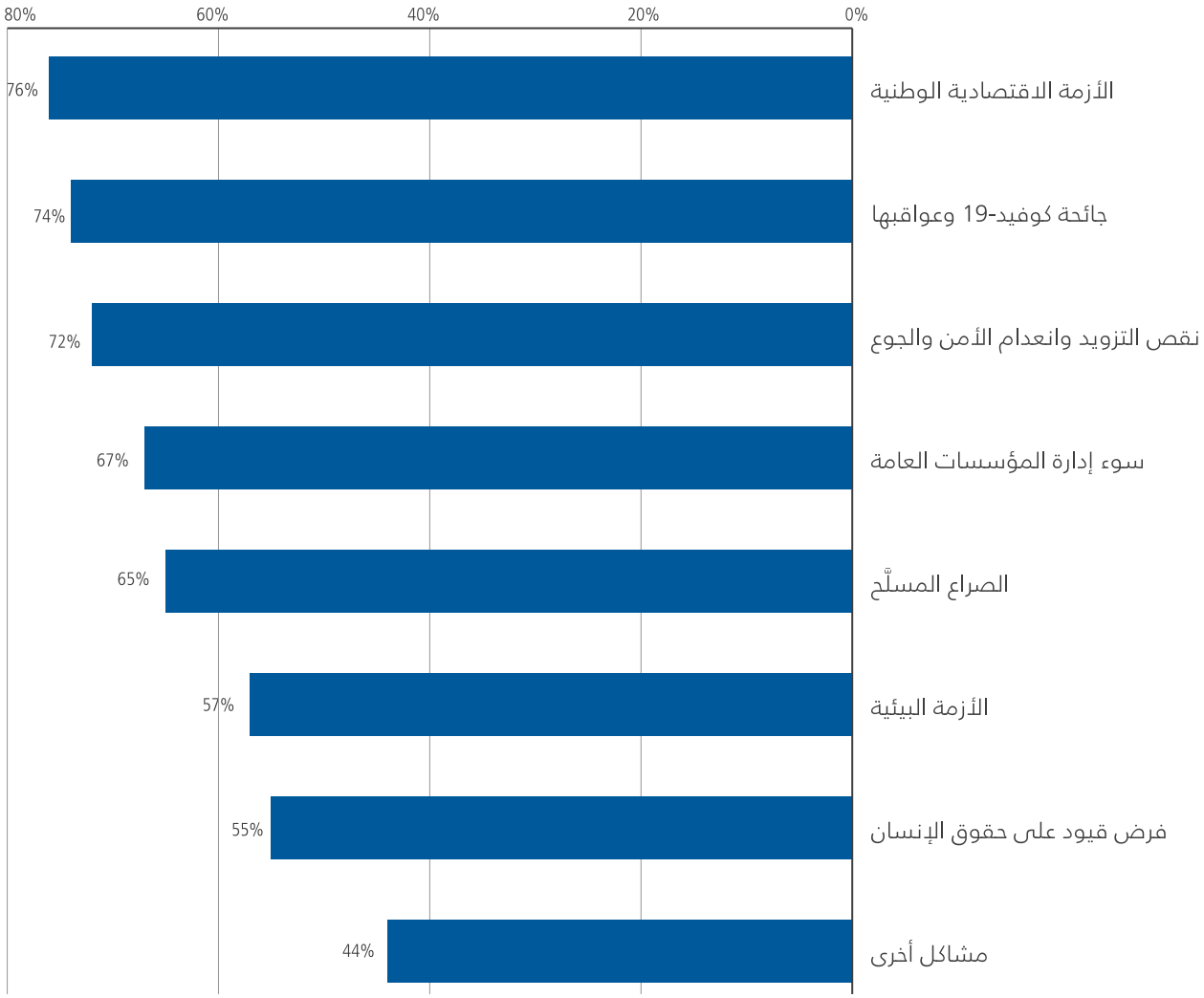

6

التنقل والحركة والهجرة: وهم الهروب من الجحيم إلى الفردوس

توصف الهجرة غالباً بأنها خسارة للطاقة البشرية الوطنية وخصوصاً طاقة الشباب، إذ أشار تقرير التنمية البشرية إلى الآثار التي ترتبت على العنف وأهتزاز الثقة بمؤسسات الدولة، فضلاً عن الظروف الاستثنائية التي دفعت بمجملها الشباب للتفكير بالهجرة، وبذلك خسر العراق ومازال يخسر طاقاته التنموية (وخصوصاً النوعية منها)، حتى وإن كانت بشكلٍ محدود (بيت الحكمة 176:2014)، إذ يستخدم الشباب مفهوم الهجرة للإشارة إلى التحرك عبر الحدود الدولية وتغيير مكان الإقامة بشكل دائم من العراق إلى بلد آخر. وعلى الرغم من تعدد الدوافع لها، إلا أن الهجرة تبدو تحدياً بحد ذاتها لدى الشباب، ورغبة في إحداث تغيير جذري في حياتهم وظروفهم على الصعد كافة.

1.6 التنقل والحركة والهجرة: محددات مفاهيمية ومسارات تحليلية

نعيش الآن في زمن يتميّز بحركة تنقّل متسارعة للناس والبضائع والسلع والمعلومات والخبرات عبر الحدود الدوليّة. تمثّل منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا عقدة مركزيّة ضمن شبكة من الاتصالات العالميّة. ومع ذلك، مازلنا نجهل الكثير عن كيفيّة تصوّر الشباب في دول المنطقة لحركة التنقل تلك، وكيفيّة تأثير الهجرة والترحال فيهم؟ وما توجهاتهم وتفضيلاتهم إزاءها؟. إنّ الحركات الاحتجاجية التي شهدتها بعض البلدان العربيّة، وما تلاها من عمليّات نزوح وهجرة واسعة النطاق، أثارت الاهتمام إزاء تحرّكات الشباب باتّجاه أوروبا. لذا نرى من الأهمية أن يتم التعرف على توجهات الشباب نحو الهجرة، وضرورة التعرف على آرائهم بوصفهم مهاجرين محتملين، مما يساعد البحث الأكاديمي بوجه عام، وصناعة السياسات على نحوٍ أخص من الإحاطة بالمزيد حول ذلك.

سنتحقّق في الفقرة الحالية من جوانب مختلفة وذات صلة بقرارات هجرة الشباب في العراق. وكيفيّة ارتباط حركة التنقّل بالتحديد السياقي لخبراتهم الشخصيّة. وكيفيّة تحّول السفر إلى الخارج إلى جزء من تطوّر مسيرة الحياة والرغبة بالإكتشاف، ومغايرة الواقع بالواقع، أو من خلال المسبار الإفتراضي، إذ تكشف البيانات أن عدداً صغيراً جداً من الشباب في العراق يعتزمون الهجرة (2 بالمائة فقط من المستطلعين عازمون »على نحوٍ حازم« على الهجرة، في حين قال 63 بالمائة أنهم لن يهاجروا »قطعا« ولا يزال 35 بالمائة غير متأكّدين)، وهذا اكتشاف لافت نظراً إلى الأزمات المتعدّدة التي يواجهونها. يبدو أنْ التنقّل مشروع أكثر تعقيداً بكثير مما هو مفترض، إذ يعتمد على استعدادات عدّة، واستراتيجيات لتجميع الموارد ضمن شبكات الأقارب والمجتمع، وفي أحيان كثيرة على عمليّات الاختيار الجماعيّة التي تهدف إلى اختيار المهاجر للأنسب من بين مجموعة خيارات بحسب قابلياته وظروفه الخاصة، والفرص المتاحة وفقاً لكل خيار. ولغرض خلق إطار لنتائجنا سنبدأ ببعض الأفكار حول تنظيرات الهجرة. بعد ذلك، ستكشف بيانات استطلاع مسح الشباب في منطقة الشرق الأوسط 2021 (العراق) عن نفسها فيما يتعلق بمرونة الشباب إزاء تغيير وضعهم الحاليّ ومدى تقبلهم أو رفضهم لحركات الانتقال المتنوعة، فضلاً عن دوافعهم وتصميمهم على الهجرة.

2.6 حركة التنقل: محاولة للفهم

أدّى إدخال الإنترنت إلى خلق مساحة اجتماعيّة جديدة، وبدأت التفاعلات الاجتماعيّة تتحرّر أكثر فأكثر من ضرورة الوجود في الزمان والمكان نفسيهما. فعلقت الهجرات الافتراضيّة (أقله مؤقتاً) القيود المفروضة على حركة التنقل المكانيّة. على سبيل المثال لا الحصر قدّمت غرف الدردشة عبر الإنترنت فرصاً للتواصل عبر الحدود الجندريّة والوطنيّة واللغويّة. لكنّ حركة التنقّل الافتراضيّة تلك تؤثر بوجه من الوجوه في الواقع، وقد تغذي طموحات الهجرة في الحياة الحقيقيّة. أصبح الإنترنت أمراً راهناً حيوياً مقارنة بالماضي، إذ يتلقى الأفراد أخبار مختلف البلدان عبر الإنترنت، سواء أكان هنالك فرص عمل أم أخبار عن أشخاص آخرين أو أماكن يرومون الوصول إليها وإستكشافها والعيش فيها. ويمكنهم بسهولة العثور على معلومات حول السفر والكثير من الأشياء الأخرى. هذا يجعل الحياة سهلة ومرنة على نحوٍ أوسع. كما أنه يقدّم فرصاً جديدة للذهاب إلى الخارج. الأكثر من ذلك هو أنْ المساحات الافتراضيّة أخذت تندسّ داخل عوالم مختلفة، حتّى مع تلك الفئات المحرومة من التعليم، ولم تعد حكراً على المتعلمين فقط.

ومن أجل الإحاطة بالأنماط المتعدّدة لحركة التنقل المكانية والاجتماعيّة، ولدمج الحركيّة الافتراضيّة والأنماط المرنة لعمليّة تشكيل الهويّة، ينبغي الأخذ بالحسبان إن حركة التنقل تنطوي على العديد من (حركات التنقّل)، حيث أنْ حركات التنقل البشرية جزء لا يتجزأ من التداول على نطاق أوسع للسلع والأموال والتكنولوجيا والأفكار التي تساهم جميعها في تشكيل تحرّكات متفاوتة للأفراد والشعوب. كما يتم الآن إيلاء الكثير من الاهتمام لدور الاختلاف الاجتماعيّ والعرق والجندر والدين في تحديد الهجرة. كما أن التركيز على الظروف الاقتصاديّة لا يحدّد بمفرده تداعيات الهجرة، بل ينبغي مراعاة تأثير الظروف المادّية

والاجتماعيّة أيضاً في تشكيل عمليّة الهجرة نفسها، أي عمليّات صنع القرار والمسارات والوجهات.

وبهذا تعبر حركة التنقل البشريّة عن قدرة وحرّية الناس في اختيار المكان الذي يريدون العيش فيه. مما يؤكد ضرورة إعادة النظر بالهجرة من حيث كونها خيار بين الانتقال أو البقاء، ومما يسمح أيضاً وبنحو واسع تخطي التمييز المصطنع بين عوامل الدفع والجذب أو الهجرة الطوعيّة والقسرية.

هل يتقبل الشباب في العراق أن يعيشوا حياة مختلفة ويتخذوا قررات صعبة؟

لفهم ذلك على نحوٍ جلي، وللحصول على صورة شاملة عن استعداد الشباب لقبول تغيرات الحياة، ينبغي الوقوف على مؤشر المرونة ثلاثي الأبعاد لحركة التنقل الاجتماعيّة، وهي: الزواج، البقاء مع الأسرة أو تركها، والعمل.

1.2.6 الزواج: الاستعداد والمرونة

يرتبط الاستعداد الفردي للتنقل بالاستعداد الاجتماعي لقبول بعض التغييرات في الحياة اليومية الواقعية. ولغرض استكشاف درجة مرونة الشباب إزاء الحركة والانتقال، جرى التركيز على ثلاثة أنواع من الاستعدادات لديهم وفحص مدى تقبلهم للتفاعل معها وهي: استعداد المستطلعين للزواج بأشخاص من مجموعة طبقية أخرى أعلى أو أدنى، أو من جماعة دينية مختلفة. ومدى تقبل المرء مغادرة والديه وترك الأسرة لمتابعة تدريبات مهنيّة أو الحصول على مؤهل مهني جيد. وقبول ظروف معيشيّة غير مؤاتية لكسب المال من خلال العمل. تجدر الإشارة إلى أن الهجرة ليست المسعى الأكثر جرأة الذي يمكن أن يتخيّله ويسعى لتحقيقه الشباب. بدلاً من ذلك تبدو بعض الخيارات المتعلقة بالزواج هي الأكثر صعوبة. حيث أبدى خمس المستطلعون استعداداً أقل للزواج بشخص أكبر منهم سناً بكثير. أي أن عددا كبيرا من المستطلعين لا يفضلون ذلك، فالتوافق العمري يقابله توافق جنسي وفكري وجيلي تزداد عند حصوله إحتمالات الانسجام والكيف بين الشريكين.

أما على صعيد الزواج من شخص ينتمي لجموعة دينيّة مختلفة فقد أبدى المستطلعون أيضاً استعداداً أقل لفعل ذلك، إذ وافق على خوضه نحو خمس المشاركين فقط من مجموع الشباب المستطلعين في العراق، وهي نسبة متدنية تعني أن غالبية المستطلعين الشباب لا يفضلون الزواج من شريك ينتمي لمجوعة دينية أخرى، ربما لأنهم يعتقدون أنّ الاختلاف هذا يزيد من إحتمالات عدم التوافق وربما الصراع، ويترك آثاره على الأبناء وعلى وئام وإستقرار الأسرة، فضلاً عن دور وإنعكاسات الواقع الاجتماعي والأسري وتأثيره في إختيارات الشباب وتوجهاتهم، إذ تمنع الأسر والمجموعات الدينية أبنائها من الزواج من شريك ينتمي لديانة أخرى، وأن حصل فقد تكون حياته مهددة بالخطر، ناهيك عن النفي والاستبعاد والمقاطعة. لذا يفضل الشباب الابتعاد عن هكذا نوع من الزواج.

وفيما يتعلق بالترتيبات الزاوجيّة أيضاً، أبدى ثلث الشباب المستطلعين موافقتهم على الزواج من شركاء ينتمون إلى

الشّكل 14
الاستعداد لتغيير الوضع الحالي

من أجل تغيير وضعك الحالي، هل أنت مستعد لأن ....؟

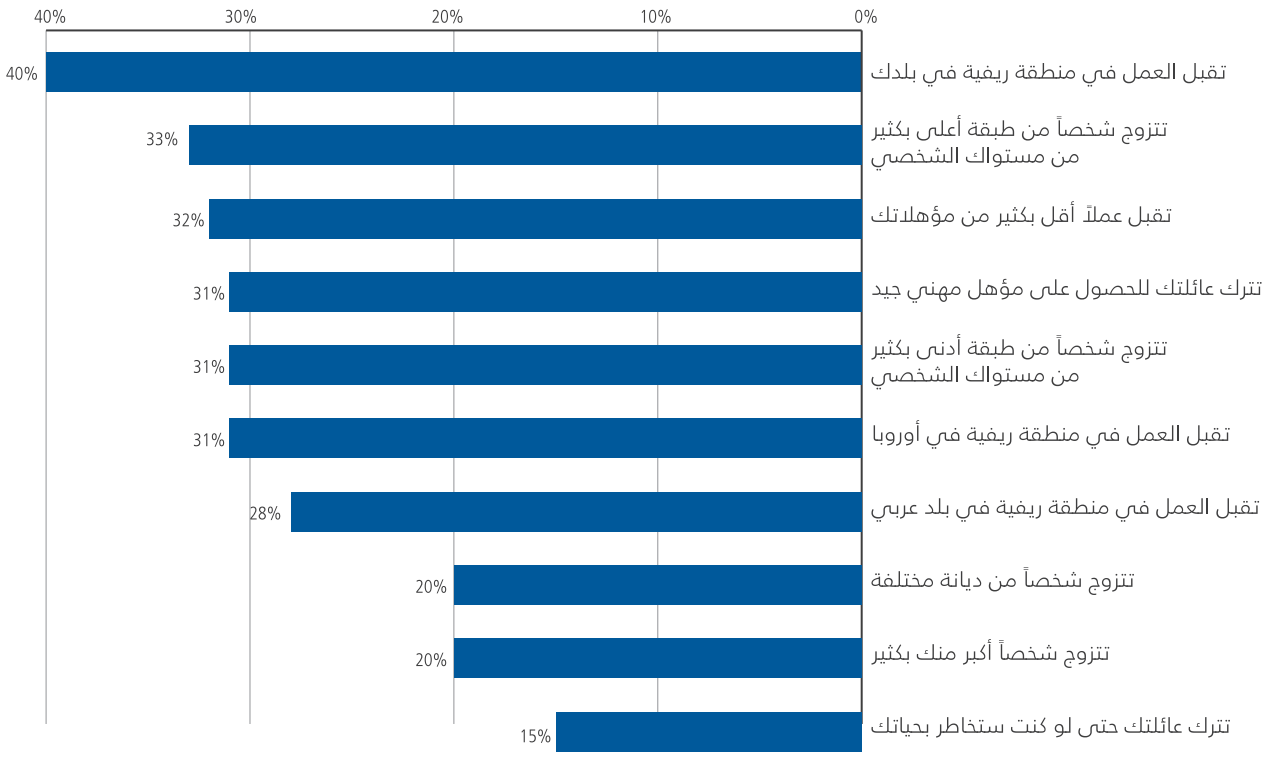

طبقة أعلى بكثير من مستواهم الشخصي، ولم تظهر فروقاً جندرية حيال الاستعداد لتحقيق ذلك، فكلا الجنسين متقبلين. فيما يميل نحو ذلك أكثر الشباب الأصغر سناً، كونهم يحلمون بتحقيق حياة أفضل وأكثر راحة عبر الشريك ولا يعدونه عائقا إزاء التكيف والانسجام معه. أما علاقة المستوى التعليمي بقبول الزواج من شخص من طبقة أعلى بكثير، فذوي التعليم المنخفض أعلى ميلاً نحوه لتغيير واقعهم الاقتصادي والاجتماعي. أي كلما أنخفض التعليم زاد الميل للزواج من شخص من طبقة أعلى، إذ لطالما ارتبط التعليم الجيد بإرتفاع مستوى الدخل والعكس صحيح، لذا يميل الشباب ذوي التعليم المنخفض تعويض إنخفاض مدخولاتهم وتحسين مستواهم المعيشي عبر الزواج من شخص من طبقة أعلى. ولهذا أيضاً يميل أكثر ذوي الوضع الاقتصادي السيء نوعاً ما نحو الزواج من شخص ينتمي لطبقة أعلى. فيما أظهرت بيئة الإقامة فروقاً مشتتة إزاء ذلك إذ بدا مقبولاً لدى الجميع بمختلف بيئاتهم ومناطق سكناهم.

فيما أبدى أقل بقليل من ثلث الشباب المستطلعين موافقتهم على الزواج من شركاء ينتمون إلى طبقة أدنى بكثير من مستواهم الشخصي من مجموع الشباب المستطلعين في العراق. جندرياً الذكور أعلى رغبة بالزواج من أشخاص ينتمون لطبقة أدنى من الإناث، إذ يعود تفسير ذلك إلى أن قيم وعادات المجتمع توكل مسؤولية الإنفاق على الأسرة وتكفل احتياجات الشريك على الذكور بالدرجة الأرأس، وتعد مساعدة الزوجة في الإنفاق على شؤون الأسرة (إن كانت ميسورة ومتمكنة) عملاً تطوعياً غير ملزم لها، وعند بعض الذكور معيباً وغير مقبولاً. فيما يميل نحو ذلك أيضاً الشباب الأصغر سناً، كونهم يعدونه من أساسيات إكتمال الرجولة وتحمل المسؤولية. أما علاقة المستوى التعليمي بقبول الزواج من شخص من طبقة أدنى بكثير، فذوي التعليم المنخفض والمتوسط أعلى ميلاً نحوه. في حين يوافق وعلى نحوٍ مستغرب ذوي الوضع الاقتصادي السيء نوعاً ما على الزواج من شخص ينتمي لطبقة أدنى، فبعض الفقراء يفضلون الزواج ممن هم أدنى منهم ربما لضمان عدم زيادة المتطلبات وللشعور بالرضا عن حالهم كون الشريك مماثل لظروفه أو أدنى منه. فيما أظهرت بيئة الإقامة فروقاً مشتتةً إزاء ذلك ولم تشي بدلالات بليغة.

2.2.6 مغادرة المنزل وترك الأهل: الاستعداد والمرونة

يبدو أن الحصول على مؤهّلات مهنيّة جيدة يشكل دافعاً مقبولاً (على الأقل لدى بعض الشباب) ليترك المرء أحبّاءه ويرحل، حيث أفاد أقل بقليل من ثلث الشباب المستطلعين في العراق بأنهم مستعدّون لذلك، فهم أما متفقون، أو متفقون تماماً مع تلك الفكرة. جندرياً الذكور أعلى استعداد ومرونة لفعل ذلك من الإناث، إذ يعود تفسير ذلك إلى القيود المفروضة على النساء بنحوٍ أكبر فيما يتعلق بالتنقل والحركة والعمل، فضلاً عن عدم مطالبتهن بالعمل غالباً وعدم تحميلهن مسؤولية إعالة أسرهن كما الذكور. فيما يتماثل الميل نحو ذلك تقريباً لدى الشباب وبمختلف فئاتهم العمرية. أما علاقة المستوى التعليمي بقبول ترك العائلة للحصول على مؤهل مهني جيد، فقد ظهر هو الآخر على نحوٍ متماثل تقريباً. في حين يندفع لفعل ذلك وعلى نحوٍ أكبر ذوي الوضع الاقتصادي السيء نوعاً ما لتحسين وضعهم المعيشي. فيما أظهرت بيئة الإقامة فروقاً مشتتة إزاء ذلك إذ ظهرت متقاربة بين الريف والحضر، وأعلى في المدن الكبيرة التي لطالما تزاد فيها المنافسة على فرص العمل، مما يجعل القبول بترك الأهل والرحيل للحصول على عمل أمراً مقبولاً لديهم.

كما تجدر الإشارة أن معظم المستطلعين لا يستخفون بالهجرة مطلقاً، لكن بعضهم مشتتون بين الرغبة في مواصلة حياتهم في كنف العائلة والأصدقاء، وتقديم خدمات وإنجازات هامّة إلى بلدهم الأم، وبين إيجاد طريقة للخروج من الطريق المسدودة أمام إيجاد فرصة عمل مناسبة وتحقيق الذات، إذ أشار 63 بالمائة من مجموع الشباب المستطلعين في العراق بأنهم لا يوافقون على مغادرة المنزل وترك العائلة حتى لو شكل ذلك خطراً على حياتهم، قابلهم نحو (15 بالمائة) فقط يوافقون على فعل ذلك. ويُتلمّس هذا التوجّه لدى غالبية الشباب وبمختلف توجهاتهم، مما يعكس استراتيجيات البقاء على قيد الحياة لديهم، وأولويتها حتى في زمن اللاستقرار السياسي وضعف الخدمات وتهالك الوضع الاقتصادي.

3.2.6 العمل في بيئات غير مؤاتية : الاستعداد والمرونة

كشفت نتائج الاستطلاع أيضاً، أن ما يزيد عن ثلث الشباب الذين شملهم الاستطلاع موافقون على قبول عمل غير مغرٍ في المناطق الريفيّة في بلدهم وبنسبة (40 بالمائة). جندرياً الذكور أعلى استعداداً ومرونة لفعل ذلك من الإناث بسبب حرية الحركة وقلة القيود الاجتماعية المفروضة عليهم مقارنة بما يفرض على النساء. فيما يتماثل الميل نحو ذلك تقريباً لدى الشباب وبمختلف فئاتهم العمرية فالعمر هنا ليس عاملاً حاسماً في القبول والرفض كما العوامل والمتغيرات الأخرى. أما علاقة المستوى التعليمي بقبول العمل في الريف داخل البلد، فيميل نحو ذلك بشكلٍ أكبر ذوي التعليم المنخفض كون فرص العمل لديهم قليلة أو معدومة مقارنة بذوي التعليم المتوسط والعالي. في حين يندفع لفعل ذلك وعلى نحوٍ أكبر ذوي الوضع الاقتصادي السيء نوعاً ما لتحسين واقعهم المعيشي وزيادة مدخولاتهم. فيما أظهرت بيئة الإقامة فروقاً بينةً لصالح سكان الريف إزاء الاستعداد لذلك كونهم معتادين على ممارسة الزراعة ولا يجدون حرجاً في مزاولتها كما هو الحال لدى سكان الحضر والمدن الكبيرة.

ولكن أيضاً يميل على نحوٍ أقل بعض الشباب على العمل في منطقة ريفية في بلدان عربية (28بالمائة فقط)، وأخرى في بلدان أوروبية (30 بالمائة). لكن عموماً لا يستهوي العمل في المجال الزراعي في الخارج والداخل العديد من الناس، فنحو ما يتراوح بين أقل من ثلثي المبحوثين بقليل وإلى ما يقرب من ثلاثة أرباع المستطلعين أبدوا عدم رغبتهم للانخراط في العمل الزراعيّ سواء أكان داخل بلداهن أو في دول عربيّة أو دول أوروبيّة أخرى. وتكون المرونة والاستعداد لمن يوافقون على فعل ذلك لصالح الذكور بنحو أعلى. وللفئة العمرية الأقل سناً. ولذوي التعليم المنخفض. ولذوي الوضع الاقتصادي السيء نوعا ما. وللمقيمين في الريف أو المناطق شبه الحضرية.

ومن جانب آخر، وفي سياق المرونة إزاء العمل، أبدى ما يقل قليلاً من ثلث الشباب الذين شملهم الاستطلاع موافقتهم على قبول عمل غير مغرٍ وأقل من مؤهلاتهم وبنسبة (32 بالمائة). أما علاقة المستوى التعليمي بقبول عمل غير مغرٍ، فيميل نحو ذلك بشكلٍ أكبر ذوي التعليم المنخفض كون فرص العمل لديهم قليلة أو معدومة مقارنة بذوي التعليم المتوسط والعالي، كما أن طبيعة الأعمال التي يمارسونها في العادة شاقة ولا تتطلب مهارة.

3.6 هواجس الهجرة إضطراراً: القلق إزاء المستقبل

ترجح مسببات القلق والخوف من وقوع حوادث ما إضطرار الناس للحركة والانتقال تفادياً للضرر والأذى. تفصح بيانات مسح الشباب الحالية عن قلقهم في المستقبل المنظور بشأن إضطرارهم لمغادرة البلد لأسباب سياسية، إذ أكد نحو 33 بالمائة من مجموع الشباب الذين شملهم الاستطلاع بأنهم قلقون إزاء ذلك. ومما يبرر ويفسر هذا الخوف ضعف إنفاذ القانون في محاسبة الفاسدين والمجرمين والميلشيات المسلحة نتيجة للتدخلات السياسية والحماية التي توفرها الأحزاب لتابعيها، فضلاً عن إحتدام الصراع فيما بينهم لزيادة النفوذ والسلطة، ناهيك عن قيامهم بملاحقة وتصفية معارضيهم ومنتقديهم، مما ولد شعوراً لدى الشباب بأنهم قد يضطرون للهجرة حماية لأنفسهم.

كما أكد نحو 37 بالمائة من مجموع الشباب الذين شملهم الاستطلاع بأنهم قلقون في المستقبل المنظور بشأن إضطرارهم لمغادرة البلد لأسباب اقتصادية. حيث تعاني البلاد من أزمة إقتصادية حادة جراء الجائحة وإنخفاض أسعار النفط عالمياً (وقت تنفيذ المسح)، ناهيك عن إرتفاع نسب البطالة وقلة فرص العمل وإرتفاع أسعار المواد الغذائية والسلع والخدمات الضرورية، لذا يرى المستطلعين الشباب إن مغادرة البلد إضطراراً جراء ذلك يمثل هاجساً منظوراً لديهم.

4.6 النزوح والتنقل داخلياً: الإحتكاك والتجربة

الاحتكاك بحالة ما أو الوقوع فيها وتجربتها تضفي على المرء مجالات وافرة لتلمسها والاحساس بها وبمن جربها، فضلاً عن التكيف معها أو القدرة على مواجهتها إذا ما تكررت مستقبلاً. كما تمنح المارين بها مرونة أعلى إزاء الحالات المماثلة والقدرة على الخوض فيها، أو القدرة على الخوض في تجارب مماثلة أن كانت ستحسن من وضعهم نحو الأفضل. في الفقرة الحالية سيجري التركيز على استجابتين: الأولى تتمثل بمدى مشاركة الشباب أو استخدامهم لنشاط يتعلق بفئات معينة ويخدمهم ويدعم أهدافهم. والثانية تتمثل بمرور الشباب بتجربة طرد أو تعرضهم للنزوح من أماكن إقامتهم المعتادة.

الشّكل 15
تجربة العنف

هل سبق لك أن...

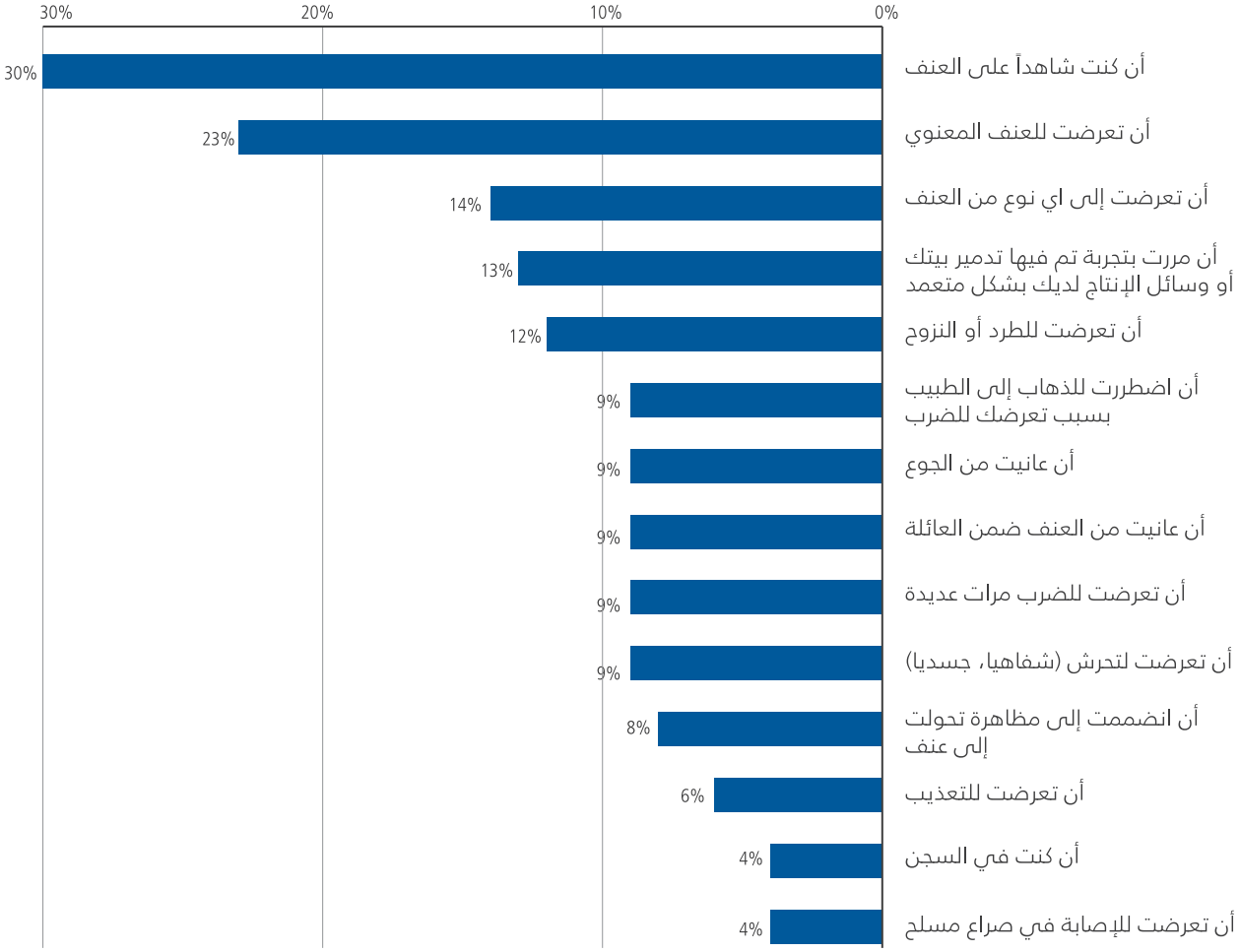

وفيما يتعلق بشعور الشباب بالمسؤولية ومشاركتهم أو استخدامهم نشاطات لصالح فئات معينة، فقد أشار نحو خمس المستطلعين بأنهم استخدموا أو شاركوا في نشاطات وأعمال من أجل الذين أتوا فارين من مناطق النازاعات المسلحة (النازحين) إلى مناطقهم. تؤكد تلك المعطيات وتعزز حجم تحركات السكان ونزوحهم داخلياً جراء الصراعات المسلحة وإضطراب الأوضاع الأمنية في البلاد، كما تشير إلى تعاطف الشباب وشعورهم بالمسؤولية تجاه الفئات الهشة والتي تتطلب تدخل لمساعدتهم.

كما تشير بيانات مسح الشباب إلى مدى مرورهم بتجربة تعرضهم للطرد أو النزوح القسري وإنتقالهم إضطراراً من مكان إلى آخر أكثر أمناً. حيث أكد ما يزيد قليلاً عن عُشر المستطلعين بأنهم تعرضوا للطرد أو النزوح من مناطق سكنهم المعتادة. فقد شهدت البلاد موجات نزوح عديدة بعد العام 2003، نتيجة لتغيير النظام السياسي وزيادة التوتر الطائفي وغياب سلطة القانون وضعف مؤسسات الدولة في إحتكار العنف، فضلاً عن الصراع السياسي بين المكونات القومية والدينية لتحقيق مزيد من النفوذ والسلطة. أجبرت تلك الأسباب وغيرها العديد من الأفراد والأسر على مغادرة مناطق سكنهم المعتاد إلى مناطق أخرى داخل البلاد.

5.6 السلوك التنقلي للشباب في العراق وخبرات الهجرة

في حال اضطرّ الشباب في العراق إلى الهجرة، ما هي الدول التي يرونها بأنها وجهات رئيسيّة لهجرتهم؟ لكن قبل ذلك، من هم الأشخاص الذين ينطبق عليهم هذا، هل الجميع على استعداد لمغادرة المنزل؟ في المحور الحالي سنتحقق من أربعة جوانب للهجرة: عدد المستطلعين المصمّمين على الهجرة، الروابط بين طموحات الهجرة الشخصيّة والتجارب السابقة للعيش في الخارج، تجارب الهجرة في أوساط الأقارب وضمن الشبكة الاجتماعيّة الأوسع. وأخيراً، سنربط بين الرغبة في الهجرة والاستعدادات الفرديّة، كالوضع الاجتماعيّ-الاقتصادي.

6.6 المرونة الشخصية وقرار الهجرة

على نحوٍ مجمل، يستبعد ما يقرب من ثلثي الشباب الذين شملهم الاستطلاع في العراق وبشكلٍ قاطع، خيار قيامهم بالهجرة، حيث أكدوا بأنهم »بالتأكيد لن يهاجروا« وكانت الإناث أعلى رغبة بالبقاء من الذكور، وتعكس تلك البيانات واقع البيئة المحافظة في العراق والقيود المفروضة على النساء وتقييد حركتهن وفقاً لطبيعة النظام الاجتماعي السائد. فيما يظهر ذوي التعليم المنخفض أعلى رغبة بعدم الهجرة نتيجة لعوائق اللغة والمهارات التعليمية التي تتطلبها الهجرة والعمل في الخارج غالباً. كما تظهر البيانات بحسب الوضع الاقتصادي الشخصي للمستطلعين، تقارب النسب بين ذوي الدخل الجيد والسيء نوعاً ما في عدم الهجرة. أما على صعيد بيئة الإقامة فسكان المدن الكبيرة والحضر أعلى ميلاً نحوٍ قرار عدم الهجرة من سكان الريف، ومما يفسر ميلهم العالي نحوها هو للهروب من واقع الخدمات السيء وفقدان فرص العمل في الريف، ولتلمس الحياة المدنية وبهرجها خارج البلاد. في حين تكاد أن تكون الفروق على مستوى الفئات العمرية بين الشباب طفيفة وتميل بنحوٍ أكبر لدى الشباب الأصغر سناً كون التحديات والمخاطر التي تواجههم متماثلة إلى حدٍ ما.

من الجدير بالذكر أن البيانات تظهر انّه عدداً قليلاً من الشباب اختبروا الهجرة بأنفسهم، حتى إلى أوروبا وآسيا وأمريكا اللاتينية، فمن المرجّح على نحوٍ أكبر أن يكون غالبية الجيل الأخير من الشباب في العراق لا يتمتعون بروابط تاريخيّة ولغويّة قويّة مع أوروبا وأمريكا، على غرار بعض البلدان العربية الأخرى المتاخمة لها، أو المتأثرة بالمرحلة الاستعماريّة.

كما أبدى المستطلعون إلماماً أكبر بالهجرة عبر تجربة الأقارب الذين كانوا في الخارج. ويظهر جلياً أيضاً أن تجارب الهجرة ضمن عائلة الفرد الواحد كان لها أصداء لدى المجيبين الشباب، إذ أكد ما يزيد عن نصفهم أن هجرة أحد الأقارب كان أمراً هاماً بالنسبة إليهم شخصياً ربما بسبب التجارب التي يتعلمونها منهم. فتجارب الهجرة السابقة داخل الأسرة تجعل المرء أقل عرضة لرفض الهجرة على نحو قاطع. فمن الذين اختبروا تجربة الهجرة سابقا داخل العائلة، قال 35 بالمائة أنهم كانوا »غير مهاجرين قطعا« مقارنة بنسبة 66 بالمائة منهم لم يكن لديهم مثل هذه التجربة العائليّة. هذا الوضع جعلهم أكثر قدرة على تصوّر إمكانيّة الهجرة بأنفسهم (ومن دون إتخاذ قرار صارم إزاء ذلك)، وتجعلهم يوسّعون دائرة تفكيرهم حيال الهجرة.

وينطبق هذا التوجه على كل من الذكور والإناث وهذا ما ظهر واضحاً في الاستطلاع. كما يوثر الاستعداد الشخصيٌّ للتغيير في طموحات وقرار الهجرة. فالمستطلعون الذين سجلوا مؤشّر مرونة منخفض هم الأكثر عزماً على البقاء والأقل ميلاً إلى تخيّل أنفسهم مهاجرين، وهذا توجه ناتج عن تأثير تجارب الهجرة السابقة داخل الأسرة. عموماً إنَّ المستطلعين ذوي المرونة العالية، ومعظمهم من الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 20-25 سنة الذين اطلعوا على تجارب وقصص الهجرة من الأقارب، هم الأكثر ميلاً إلى النظر في احتمال الهجرة لأنفسهم.

وبوجه عام، لطالما أسيء تفسير تصوّرات الشباب لحركة التنقّل وطموحاتهم نحو الهجرة من العراق. فعدد قليل جداً منهم مصمم على الهجرة على الرغم من الأزمات المتعدّدة التي يعانيها البلد، إذ غالباً ما يجد الشباب صعوبة في اتخاذ القرار بين الهجرة ومتابعة حياتهم في الوطن. كثيرون منهم متعلقون بشدّة بعائلاتهم ومناطق سكناهم الأصليّة التي نشأوا وترعرعوا فيها، ولا يرون أبداً أن الهجرة حل مثالياً مريحاً، إذ تثير فكرة مغادرة المنزل مشاعر متناقضة حيالها. لذلك فإن نصف المستطلعين يرون أنْ رحيل أحد أحبّائهم كان خسارة لهم أو حتّى أنهم يعبّرون عن تحفظات صارمة إزاء الهجرة.

وتتفاعل في تشكيل ذلك العديد من الآليات والإجراءات، إذ غالباً ما تكون أنماط هجرة اليد العاملة محصورة ضمن البلدان العربية بحكم الثقافة واللغة والتاريخ المشترك، لكنّها تتشكل أيضاً بموجب روابط تاريخيّة ولغويّة مع بعض الدول الأوروبيّة أحياناً. مع ذلك، لا ينبغي حصر طموحات الهجرة بمجرّد العثور على عمل في الخارج، فالشباب مهتمّون أيضاً بالسفر للترفيه عن أنفسهم وتوسيع آفاقهم وللإستكشاف والمغامرة أحياناً، فضلاً عن ذلك إن السلوك الحركيّ ليس ذا طابع جندريٌ أو مرتبطاً بالوضع الاجتماعيّ فقط، لكنّه مرتبط أيضاً بتجارب الهجرة السابقة لأفراد الأسرة، والاستعدادات الشخصيّة للتغيير، والمستوى الاقتصادي والشبكات الاجتماعيّة. وعلى نحوٍ عام تحتل الرغبة في الهجرة أعلى نسبة في أوساط الأفراد المرنين الذين شهدت شبكتهم الاجتماعيّة تجارب ناجحة وإيجابية مع الهجرة.

كما إن الاهتمام القليل نسبيّا (لدى أغلب المستطلعين) بالسفر إلى الخارج وتغيير محل الإقامة بشكل دائم ربما كان بسبب تجارب هجرة بعض الأقارب والمعارف التي أثبتت عزيمتهم عن السعي إلى الهجرة بأنفسهم، أو ربما نتيجة عن فهم دقيق أو مشوش عن صيرورات الهجرة وتجاربها وصعوباتها. فاتساع الحركية الافتراضيّة ووسائل الاتصال تترافق جنباً إلى جنب مع التشدّد الفعّال للحدود الخارجيّة وصرامة قوانين اللجوء والتجنس والإقامة لدى أغلب الدول الغربية. في حين تجعل تكاليف الهجرة (الحركيّة) أكثر صعوبة خصوصاً للطبقات الأكثر فقراً، إذ يعي الكثير من الشباب اليوم، ومن منظار واقعيّ وافتراضي، إيجابيّات وسلبيّات السفر إلى الخارج، بما في ذلك العوائق الثقافيّة والتوظيفيّة والقانونية للاندماج في مكان آخر، إذ لا يرون على نحوٍ مطلق أنّ دول الرعاية والرفاه الأوروبيّة هي دائماً أرض الأحلام.

7

الخاتمة

يعاني الشباب في العراق من هشاشة مركبة، ويفتقرون إلى الموارد المطلوبة، وهم الأكثر عرضة لفقدان الأمن، وهم أيضاً الأجدر على زعزعة الأمن في الوقت ذاته نتيجة لحرمانهم الكثير من متطلبات الحياة الكريمة. فهم مازالوا ينظرون إلى النخب السياسية الحاكمة والأحزاب والمجموعات المسلحة المتنفذة بأنهم طبقة فاسدة وهم المسؤولون عن خراب البلاد، والثقة بهم معدومة، فهم غير قادرين على تحقيق حلول ناجعة للأزمات والمشكلات التي تعصف بالبلاد. وفشلوا في ايجاد فرص عمل كافية ومناسبة لهم، ولم يتمكنوا من تأطيرهم في الحياة العامة، ولم يوفروا لهم استحقاقاتهم في مجالات التدريب والتمكين والخدمات الصحية والثقافية والتعليمية.

وفقاً لتلك المعطيات أظهرت نتائج المسح أن الشباب في العراق يعيشون صخباً سياسياً، مما أتاح لنا فرص اكتشاف مدى تسييسهم عبر الحراك الاجتماعي والاحتجاجات. ومدى مشاركتهم السياسية وإهتمامهم بها، وكيف ينظرون للدولة والحكومة ونظام الحكم، إذ ظهر الإهتمام بالأمور السياسية منخفضاً إلى حدّ ما، وغالباً ما يربط الشباب هذا المصطلح ويعنون به سياسة الأحزاب أو السياسة العامة للبلد الذي يعيشون فيه، وعن الفساد والنخب السياسية غير الكفوءة وهدرها للأموال، ودور وممارسات الأحزاب في التخادم وتقاسم المغانم والإفلات من العقاب والمحاسبة. لذا فهم غير مهتمّين بهذا النوع من السياسة، والتي غالباً ما كانت تعكس فقدان الثقة بالسياسيّين وأدائهم، والشعور بالإحباط إزاءهم، أو جراء عدم فاعلية النظام السياسي في تلبية احتياجاتهم وطموحاتهم. شكلت تلك الصيرورات بمجملها فهم الشباب وتقييمهم السلبي عن السياسة في بلدهم.

كما أظهر الشباب في العراق إهتماماً ضئيلاً للإستعلام على نحوٍ نشيط عن أمور السياسة، حيث انصبت إهتماماتهم في شؤون الحياة الأخرى التي من شأنها أن تحقق الإشباع المباشر لحاجاتهم، وديمومة العلاقات وتشارك المعلومات مع آخرين، أو الترفيه وخفض التوتر والتسلية.

في الماضي كانت الأحداث السياسية الواقعة في بلدٍ ما تؤثر في بلدان المنطقة المجاورة والمحايثة لها، إذ كان منسوب الشعور بالقومية العربية والتاريخ المشترك مؤثر غاية التأثير في الأجيال التي رافقت حدوثها في معظم بلدان المنطقة. وللمقارنة مع شباب اليوم، بينت نتائج المسح إزاء الأحداث الحاصلة في المنطقة ومنها أحداث العام 2011، لم يهتم لها أو يتفاعل معها أو يعلم بها نحو ما يقرب من ثلاثة أرباع المستطلعين، أي بروز نزعة لدى شباب اليوم تنصب على الإهتمام بالقضايا ذات البعد الوطني الداخلي.

مثّلت احتجاجات عام 2019 ذروة تعبئة الشباب في العراق، حيث اضطلع الشباب بدور هام وأظهروا قدرة على تطوير وتغيير العلاقات بين المجتمع والدولة. وبحسب نتائج المسح وصف غالبية المستطلعين تلك الأحداث بأربعة أوصاف إيجابية تعبر عن تقييمٍ مؤيد لها توزعت بحسب المسميات على النحو الآتي (ثورة، إنتفاضة، حركة شعبية، حراك)، ووجدو فيها أملاً بالغاً نحو التغيير. فمن النتائج المباشرة للاحتجاجات إستقالة الحكومة وإستبدالها بحكومة معالجة أزمة وتسيير الأعمال، والتي ضمت في كابينتها عناصر تكنوقراط، ومن ثم تغيير قانون الانتخابات ومجلس المفوضية المستقلة للإنتخابات وإستبدالهم بقضاة، فضلاً عن إجراء انتخابات مبكرة في العام 2021. كما تشير النتائج إلى أنّه وعلى الرغم من المشكلات الاجتماعيّة والاقتصاديّة ومخاطر جائحة كورونا المتزايدة في أعقاب ما يسمّى بإنتفاضة تشرين، وقمع الحكومة للناشطين السياسيّين حينها وعلى نحوٍ مفرط، ما يزال عدداً كبيراً من الشباب يواصل التحرّك والتحشيد من أجل التغيير. لكنهم يميلون إلى تحقيق تغيير اجتماعي واقتصادي على نحوٍ أكبر. لذا اتخذت التعبئة صوراً أكثر تنوعاً.

وفي المعدّل، أظهرت النتائج ميل الشباب نحو أربعة نشاطات وممارسات سياسية ذات التأثير المباشر (وأغلبها احتجاجي) لاسماع صوتهم والتعبير عن آرائهم، من قبيل (المشاركة في مظاهرة، المشاركة في إضراب، مقاطعة بضائع معيّنة لأسباب سياسيّة، المشاركة في الانتخابات) والتي تتضمن مواجهة مباشرة لإحداث التغيير، وتفضيلها عن الممارسات غير المباشرة من قبيل (تشجيع زملاء عبر الأنترنت من أجل القيام بعمل ما، الإستعلام عن طريق الأنترنت أو تويتر للإنضمام إلى مجموعة قائمة، المشاركة في جمعية، توزيع المنشورات وتوقيع عريضة عبر الأنترنت، المشاركة في حزب سياسي، الكتابة على الجدران). والتي تتطلب التنظيم أو التعبئة والتحشيد أو لفت الانتباه، إذ تعد من وجهة نظرهم ضعيفة التأثير ولا تشفع في مجتمع غير مستقر ونظام سياسي يعاني من مشكلات مركبة وفساد كبير، فضلاً عن إتساع نفوذ المجاميع المسلحة فيه. يتطلب ذلك كله ممارسات تتضمن المواجهة المباشرة لحصول تغيير ملموس.

لم تعد الشؤون الدينية والسياسية تشغل تفكير وإهتمامات الشباب كما هو الحال مع الأجيال التي سبقتهم، فعلى الرغم من إتساع وغزارت المواد والنشاطات والبرامج الدينية والسياسية، والظهور المتكرر للشخصيات التي تصنف بكونها شخصيات دينية أو سياسية، إلا أن تأثيرها على الشباب أخذ بالإنحسار نتيجة لكثرة الوعود والخطابات والارشادات التي تبناها الإسلام السياسي، ومن دون تنفيذ أوإيفاء بالوعود. لذا حصدت الشؤون السياسية

والدينية الرصيد الأقل والإهتمام الأدنى من غايات الشباب في إستخدام وسائل التواصل الاجتماعي.

أفصحوا الشباب عن خيارات صادمة ومدهشة في الآن معاً، تعكس وعلى نحوٍ مرير تجاربهم مع الأنظمة السياسية التي نشؤوا في كنفها، كما تعبر على نحوٍ كبير عن آمالهم في النظام السياسي الذي يطمحون ان يحيون فيه، إذ أكد نحو ثلاثة أرباع المستطلعين بأنهم تواقين إلى نظام ديمقراطي يحكمه رجل قوي يقود البلاد نحو بر الأمان والرفاه والعمران. فيما كشف الخيار الآخر عن تفضيلهم لـ »إمرأة قوية تقود البلاد«، فعلى الرغم من إنخفاض نسبة هذا الخيار وتبنيه جاء من قبل الإناث على أكبر، إلا أنه يعد مؤشراً هاماً على وعي بعض النساء وثقتهن بأنهن قادرات على لعب دور أفضل في السياسة وشؤون البلاد. كما كشف عن تحول ثقافي واجتماعي (وإن كان محدوداً) إزاء النساء ودورهن في المجتمع، وتقبل أكبر وأقل حساسية تجاه الفوارق الجندرية لدى الشباب اليافعين.

كما كشفت نتائج المسح عن ضعف ميل الشباب نحو الأنظمة السياسية ذات الطابع الديني، سواء كانت خالصة أو هجينة ومركبة مع شكل آخر حداثوي أو معاصر، مما يمثل إنعكاساً صريحاً لتجربتهم الحالية مع الإسلام السياسي ونفورهم منه، وميلهم نحو نظام مدني يكفل الحقوق الدينية ولا يسمح بهيمنة الشؤون الدينية على الحياة العامة. فهم يطالبون بتحقيق الرفاه والخدمات وليس الإيغال في الطقوس والشعائر والتركيز على الممارسات الدينية.

من جانب آخر وعلى صعيد جائحة كورونا، ينبغي الإشارة إلى أن مفهوم الأمن من منظور التنمية البشرية يقوم على أمن البقاء على قيد الحياة، وتجاوز أخطار الأوبئة والأمراض والقمع السياسي أو الأحداث التي تصدع الحياة اليومية وتؤدي الى الإضطرابات والتشوش والتشرد. وربما أفضل صورة لتجلياته تتمثل في تحديات ومخاطر جائحة كورونا بوصفها واحدة من التحديات الجسيمة التي واجهتها المنطقة والعالم.

أظهرت نتائج المسح أن خمس المستطلعين فقط كان وضعهم المالي يسمح لهم بالإدخار وتوفير المال، وأنهم يدخرون المال للشعور بالإطمئنان في حالات الحاجة، تحسباً لمواجهة التحديات والتقلبات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وحتى البيئية والصحية، والتي غالباً ما يتوقع حدوثها في مجتمع مأزوم وغير مستقر كما في العراق. عبر ذلك عن قلقهم إزاء وضعهم الراهن ومستقبلهم المنظور. ويبغي أخذ ذلك في الحسبان عند تصور وضع الشباب خلال مدة الحجر الصحي ومواجهة الجائحة. إذ أكد غالبيتهم بأنهم واجهوا الجائحة وتداعياتها بإفتقار وهشاشة شديدين.

ترجح مسببات القلق والخوف من وقوع حوادث ما إلى اضطرار الناس للتحسب نحوها تفادياً للضرر والأذى. في هذا المنحى تفصح بيانات مسح الشباب الحالية عن قلق المستطلعين في المستقبل المنظور بشأن أن يصابوا بمرض شديد، فضلاً عن قلقهم من زيادة إنعدام الأمان، وهو الآخر قد يكون على إرتباط وثيق بتداعيات الحجر الصحي وتفشي الجائحة.

يواجه الشباب في العادة الكثير من التغيرات في حياتهم، منها ماهو إيجابي ويعززهم نحو الأفضل، وآخر سلبي يفرض عليهم المزيد من التكاليف ويضاعف عليهم الآثار. وصف المستطلعين الشباب التهديدات الناجمة عن جائحة كورونا بأنها أبرز وأهم التغيرات التي واجهوها مؤخراً. ينبغي الآخذ في الحسبان بأن من بين تسعة وقائع وأحداث سلبية تعرض لها الشباب، كان من بينها ستة وقائع مرتبطة بالجائحة على نحوٍ مباشر، أو زاد تأثيرها وصيرورتها من جراءها، من قبيل نقص الغذاء وفقدان الوظائف والتغيرات داخل العائلة وعدم الاستقرار الاجتماعي وتزايد العنف والعزلة عن العالم الخارجي، ناهيك عن التهديدات الناجمة عن جائحة كورونا. مما يؤشر حدوث تغيرات سلبية متعددة ومركبة عصفت بحياة الشباب على نحوٍ خطير في السنوات الخمس الأخيرة.

كشفت نتائج المسح أن حجم الإصابات كان واسعاً جداً بين صفوف المستطلعين وذويهم ومعارفهم، كما أن إنتشار الجائحة وتأثيرها على المجتمع كان كبيراً. مما يوضح مدى الضغوطات النفسية والاجتماعية والاقتصادية والصحية التي تعرض لها المستطلعون وذويهم ومعارفهم. كما أن حجم التحديات التي واجهها القطاع الصحي والحكومة ومؤسساتها في العراق جراء الجائحة كان خطيراً.

إن مرور الأفراد بتجربة مرضية خطيرة كما هو الحال مع الجائحة يفضي بالضرورة إلى تغيير في تصورات الأفراد إزاء الصحة والمرض، إذ أن الطبيعي والمعتاد أن يكون عمر الشباب مفعم بالطاقة والصحة والحيوية والنشاط، مما يجعل الاهتمام بالغذاء الصحي والرياضة والتعفير والتطهير أمراً ثانوياً لدى أغلبهم، في حين أثرت الجائحة في نمط الغذاء والوعي الصحي وإدارك أهمية الحمية والاستباق في مواجهة المخاطر الناجمة عن الملوثات والفيروسات، وجعلت الوعي الصحي للشباب في قضايا المرض والصحة على نحوٍ أفضل.

يعيش أغلب الشباب في العراق صراعاً يومياً للموازنة بين عواقب النزاعات المسلحة والظروف الصعبة التي يواجهونها في بلدهم، والتي أصبحت وللأسف الشديد جزءاً من الحياة اليوميّة للشباب العرب على نحوٍ عام، وفي العراق على نحوٍ أخص، وبين تكاليف ومخاطر وتحديات الهجرة.

جلهم يهربون من البطالة المتفاقمة في بلدانهم الأصليّة، وغالباً ما يتمتّعون بمستوى تعليميّ عالي، إلا أن الفرص المتاحة أمامهم في الغالب تضعهم في مسارين: الإنخراط ضمن القوى العاملة ذات الأجور المنخفضة والمؤقتة في البلدان الصناعية، أو التحرك ضمن حدود دول منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا والتي مازالت في طور النمو وتكافح آثار التخلف والتراجع لمرحلة ما بعد الاستعمار. لكن في كلتا الحالتين، إنَّ غياب الفرص الواعدة لتحقيق مداخيل ثابتة أو لبناء مسيرة مهنية ناجحة تعرّضهم لنوع ثابت أخر من فقدان الأمن الوجوديٌ وتفاقم القلق إزاء المستقبل. في المحصلة، يبدو أن سياسات الهجرة المقيّدة وظروف المعيشة المروّعة والتهديدات بالترحيل تمثل حقيقة راسخة بالنسبة إلى الكثير من المهاجرين.

تاسيساً على ما تقدم، ووفقاً لنتائج المسح ليس من المستغرب أبداً أن يظهر الشباب وعياً قائماً على انفصال حركة التنقّل المكانيّة عن حركة التنقل الاجتماعيّة التصاعديّة. ففي حين تستمر الرغبة في العثور على عمل أو مواصلة التحصيل العلميّ يتحفز البعض على الذهاب إلى الخارج وخوض تجربة الهجرة، فيما يركز البعض الآخر على قبول عمل في ظروف مهنية غير مؤاتية داخل بلدهم، أو الزواج من طبقة أعلى، أو الزواج من ديانة أخرى. يبدو أنهم يعرفون خير معرفة أنْ الهجرة لم تعد تقدّم لهم بالضرورة وعداً ناجزاً بحياة أفضل. فعدد قليل جداً منهم مصمم على الهجرة على الرغم من الأزمات المتعدّدة التي يعانيها البلد، إذ غالباً ما يجد الشباب صعوبة في اتخاذ القرار بين الهجرة ومتابعة حياتهم في الوطن. كثيرون منهم متعلقون بشدّة بعائلاتهم ومناطق سكناهم الأصليّة التي نشأوا وترعرعوا فيها، ولا يرون أبداً أن الهجرة حل مثالياً مريحاً، إذ تثير فكرة مغادرة المنزل مشاعر متناقضة حيالها. وتتفاعل في تشكيل هذه القرارات العديد من الآليات والإجراءات.

المراجع

وزارة التخطيط العراقية الاتحادية/ الجهاز المركزي للاحصاء/ مديرية الحسابات القومية (2021) : التقديرات السنوية الأولية للناتج المحلي الإجمالي والدخل القومي لسنة 2019

وزارة التخطيط العراقية الاتحادية (2017): وثيقة الإطار العام للخطة الوطنية لإعادة الإعمار والتنمية للمحافظات المتضررة جراء العمليات الإرهابية والحربية

غرتل، يورغ/ هكسل، رالف (2019): مأزق الشباب في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا؛ https://library.fes.de/pdf-files/iez/18101.pdf

غرتل، يورغ/ كروبير، ديفيد (2021): تأثير جائحة كورونا على الشباب استبيان بين القادة الشاب لمؤسسة فريدرش ايبرت في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا؛
https://library.fes.de/pdf-files/bueros/tunesien/18328-20210929.pdf

بيت الحكمة والجهاز المركزي للاحصاء (2014): برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، التقرير الوطني للتنمية البشرية 2014: شباب العراق تحديات وفرص

قائمة الأشكال

8 **الشكل 1**
الإهتمام بالسياسة

9 **الشكل 2**
أوصاف ومدركات المستطلعين لكلمة »سياسة«

10 **الشكل 3**
أهمية بعض القضايا والمجالات

12 **الشكل 4**
الثقة في المؤسّسات

14 **الشكل 5**
تسمية الأحداث الجارية في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا في 2011/2010

15 **الشكل 6**
تقييم الأحداث

16 **الشكل 7**
تسمية الأحداث الأخيرة

17 **الشكل 8**
الأنشطة السياسية التي استخدمها المستطلعون أو شاركوا فيها

19 **الشكل 9**
المشاركة المدنية للشباب في العراق

21 **الشكل 10**
الغرض من توفير المال

22 **الشكل 11**
نظرة المستطلعين نحو مستقبل مجتمعهم

23 **الشكل 12**
الحياة العاطفيّة خلال الجائحة

25 **الشكل 13**
أهميّة المشاكل/ الأزمة في الحياة اليوميّة

27 **الشكل 14**
الاستعداد لتغيير الوضع الحالي

29 **الشكل 15**
تجربة العنف

نبذة عن المؤلف

أحمد قاسم مفتن تدريسي محاضر في جامعة بغداد- كليتي الآداب والتربية للبنات- قسم علم الاجتماع، استاذ مناهج البحث والمشكلات الاجتماعية والسلم الاجتماعي. باحث مشارك وخبير إستشاري في مركز البيان للدراسات والتخطيط. مدير قسم البحوث والدراسات في وزارة الهجرة. له العديد من الكتب والبحوث المنشورة في مجالات النزوح والهجرة، شؤون الأقليات والجماعات، السلم الاجتماعي، الشباب واستطلاعات الرأي العام.

نبذة عن الدّراسة حول الشباب في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا

تنظر مؤسّسة فريدريش إيبرت إلى النّساء والرّجال الشّباب كعامل حاسم في التّطور الدّيمقراطيّ في المنطقة وتحرص على تعزيز إمكاناتهم لبدء التّغيير في عالم السّياسة وفي المجتمع. وعليه، تسعى مؤسسة فريدريش إيبرت استنادًا إلى نتائج دراسة استقصائيّة طويلة المدى تمّ إطلاقها عام 2016، إلى تقديم لمحة وافية عن وضع الشّباب في منطقة الشّرق الأوسط وشمال أفريقيا.

وقد أطلقت مؤسّسة فريدريش إيبرت عام 2021، المسح التمثيليّ الثاني واسع النّطاق في الجزائر ومصر والعراق والأردن ولبنان وليبيا والمغرب وفلسطين والسّودان، ولدى اللاّجئين السّوريين في لبنان، وكذلك في تونس واليمن. ومن خلال 1000 مقابلة متعمّقة في كلّ دولة، أنتجت الدّراسة المعنيّة بالشّباب في منطقة الشّرق الأوسط وشمال أفريقيا الصّادرة عن مؤسسة فريدريش إيبرت قاعدة بيانات كبيرة من الأجوبة على حوالي 200 سؤال متعلّق بالخلفيّة الشّخصية للأشخاص الذين تمّت مقابلتهم وآرائهم بشأن مروحة متنوّعة من المواضيع.

الناشر

مؤسسة فريدريش إيبرت | مكتب العراق
ص. ب 941876 | عمان
11194 الأردن
https://amman.fes.de

للحصول على الدراسات
amman@fes.de

الإشراف العلمي: **ديفيد كروير**، **فردريكا ستوليس**

الترجمة من الإنجليزية إلى العربية: **Arab Industry Company**

التدقيق اللغوي: **إلياس عمري**

لا يُسمح بالاستخدام التجاري لجميع الوسائط التي تنشرها مؤسسة فريدريش إيبرت (FES) دون موافقة خطية من مؤسسة فريدريش إيبرت.

إن الآراء الواردة في هذا المنشور هي آراء المؤلف ولا تعكس بالضرورة آراء مؤسسة فريدريش إيبرت.